فيصل الياسري

اغتيال المتنبي

اقتفاء أثر المتنبي في اليوم الأخير من حياته

















- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات ايجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس : 3448368 (00202)

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com
alhdara_alarabia@hotmail.com

فيصل الياسري

اغتيال المتنبى

سيناريو للقراءة

اقتفاء أثر المتنبي في اليوم الأخير من حياته



الكتاب : اغتيال المتنبي

الكاتب : فيصل الياسري
(العراق)

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة العربية الأولى : القاهرة ٢٠٠٥

رقم الإيداع ٢٠٠٥/٢٤٥٣
الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-630-4

الغلاف :

تصميم وجرافيك : ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الالكتروني :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : إيمان محمد
تصحيح : عبدالحليم فرحات

بداية

عشتُ السنوات الأولى من حياتي في بيئة ريفية على ضفاف الفرات الأوسط تكنُّ للتاريخ والموروث الديني والأدبي والشعبي منزلة خاصة واحترامًا كبيرًا!!

فقد نموت وسط عائلة مرموقة؛ من تراثها الاهتمام بالفكر والأدب والمعرفة، إضافة إلى حرصها الشديد على احترام التقاليد والعادات الاجتماعية والعشائرية؛ وكان عليها – انطلاقًا من عمقها التاريخي والديني، وانتمائها إلى السادة الأشراف من آل البيت – أن تتميز بالحرص على توفير وسائل المعرفة بتأمين التعليم والدراسة ليس فقط لأبنائها وإنما أيضًا لأبناء المنطقة وخاصة أبناء الفلاحين الذين يقطنون في الجوار!

فعمد أهلي إلى تأسيس مدرسة في قريتنا حملت اسم العائلة (المدرسة الياسرية) في عصر لم تكن فيه حتى المدارس الحكومية قد انتشرت بعد في الأرياف!! وقد التحقت بتلك المدرسة، وكنت أصلها سيرًا على الأقدام، وأحيانا على ظهر حصان كنت أخشى أن أسقط من على ظهره عندما تعترض طريقنا الكلاب المحيطة ببيوت الفلاحين! وقد تعلمت في المدرسة التي كانت تحمل اسم عائلتي حتى الصف الرابع الابتدائي قبل انتقالنا إلى بغداد!!

ومنذ الصغر كنت أحشر نفسي في مجالس الكبار التي كانت تعقد بشكل شبه دوري في رحاب (المضايف) حيث يروي

السامرون في الأماسي – وخاصة الرمضانية منها – الطرائف والنوادر و(سوالف) الحياة اليومية وبعض ذكريات الماضي القريب أو يسرد المتحدثون في ليالي الشتاء الباردة الحكايات التراثية الشيقة، إضافة إلى وقائع التاريخ العربي والإسلامي . بعدها – أو قبلها – ينهمك بعض الحاضرين المتمكنين في ممارسة المباريات الشعرية، وهي غالبًا نوعان:

المطاردة الشعرية: وهي أن يأتي شخص ببيت شعر يبدأ بالحرف الأخير من البيت الذي ألقاه المتباري السابق وهكذا بالتناوب بين الحاضرين.

التقفية الشعرية: وهي أن يقرأ أحدهم قصيدة طويلة لشاعر مشهور فيقول منها البيت الأول كاملا كي يعرف الحاضرون الوزن والقافية، بعدها يقول الأبيات التالية دون أن يذكر القافية (الكلمة الأخيرة من البيت) وعلى المتنافسين أن يحزروا قافية ذلك البيت كما وضعها الشاعر!

وكانت أحاديث القوم مفعمة بترديد أبيات الشعر العربي المأثورة، حتى في الحياة العادية والاستشهاد بها في المواقف اليومية المختلفة، لتفسير وقائع الأحداث الجارية وصروف الدهر، أو الحث على التحلي بالصبر على تقلبات الزمن وتحمل نكبات الأيام وصعوبات المعيشة أو التفاؤل بالخير!!

وكان بعض الرجال – وكذلك بعض النساء – بارعين في تحويل معنى البيت الفصيح إلى شعر باللهجة الدارجة قد يأتي أحيانًا أكثر دلالة وتأثيرا من البيت الفصيح الأصلي .

وربما يرتجل أحدهم – في موقف معين – بيت شعر باللهجة الدارجة اقتبس معناه من بيت شعر فصيح كان قد سمعه يومًا ما

فعلق في ذهنه المعنى وضاع اللفظ، فينظمه شعرًا جديدًا بمفـــردات بين الفصحى والعامية وبالأوزان الدارجة.

وقد اشتهرت في ريف الفرات امرأة لا تقرأ ولا تكتب ولكنها تجيد نظم المعاني بلهجتها المحلية، ويروى عن تلك المــرأة أنهــا استمعت مرة إلى بيت شعر للشاعر النجفي المعروف محمد سعيد الحبوبي من قصيدة وجدانية له .. يتغزل بهــا بمنطقــة الكــرخ البغدادية، حيث يقول:

يا غزال الكـــرخ وا وجـــدي عليـــك
كـــاد ســـري فيـــك أن ينتـــهكا
هـــذه الصـــهباء والكـــأس لـــديك
وغرامــــــــي في هـــــــواك احتنكـــــــا
أعطني كأسًـــا وخـــذ كأسًـــا إليـــك
فلذيـــــــــذ العــــــــيش أن نشـــــــتركا

ابتسمت المرأة عندما سمعت البيت الأخير وقالت ناقدة ساخرة: أي شاعر هذا؟

قالوا: إنه الحبوبي!!

قالت: أراه قد أخطأ في أكثر من موضع في البيت الثالث ..

قالوا مستنكرين: أخطأ؟! الحبوبي أخطأ؟!

قالت: معلوم أخطأ..

قالوا: كيف ..؟؟!!

قالت: أولا كيف يأمر على حبيبه فيقول (أعطني كأسًا ...)!

قالوا: فعلاً ..

قالت: ثانيًا كيف تطيعه نفسه أن يَشرب قبل الحبيب حيث يقول (.. وخذ كأسًا إليك ..) يعني أنه سيتناول كأسه قبل الحبيب!

استحسن الحاضرون ملاحظتها..

و سألوها: ماذا كان على الشاعر أن يقول كي يستقيم المعنى؟

ردت المرأة: أنا لا أعرف النظم بالفصيح لذلك سأقول بكلامنا الدارج.. كان على الشاعر أن يقول:

آهَنه بأول كاس والثاني ليه

فلذيذ العيش أن نشرب سويه

(اتهنه = فعل أمر من الهناء، أي: استمتع - ولكي تستقيم قراءة البيت ينبغي أن نقرأ: ليّه بياء مشددة وهاء خفيفة أقرب إلى الفتحة، وكذلك بالنسبة للفظ كلمة سويه في قافية البيت!!)

ولا تقتصر اقتباسات أهل ديرتنا على شاعر معين، أو على الفصيح وحده بل هم يقولون الشعر باللهجة المحلية (وقد تسمى حسجة - تلفظ الجيم كما يلفظها البدو) كما ينشدون الشعر الكلاسيكي العربي؛ الذي يتباهون بالاستشهاد به حتى وإن كسروا الوزن أو أخطئوا بالنحو والصرف!

وكان عمي عبد الحميد لا يستشهد بغير شعر المتنبي، فكنت أسمعه ينشد أبياتًا أو قصائد كاملة من شعر المتنبي باستمتاع كبير بالمعاني أو بالألفاظ والإيقاع الموسيقي للوزن الذي كان يتذوقه كثيرا ويشيع حوله جوًا من الإعجاب بين المستمعين! بل إنه كثيرًا

ما كان ينشده بما يشبه القراءة الحسينية!

وكان القرويون مولعين بسرد الحكايات عن أحداث الماضي التي قد ترتبط بتلك البيئة المحيطة بهم، ذات العمق التاريخي الكثيف؛ حيث المواقع التاريخية العديدة على ضفاف الفرات الأوسط والتي ألفنا وجودها فلم تعد تسترعي انتباه الكثيرين منا فلا نزورها إلا نادرًا بينما يأتيها الغرباء من مسافات شاسعة..!

لقد كانت بيئة غنية ليس فقط بطبيعتها الجميلة، وإنما أيضًا بموقعها الذي جعلها مسرحًا لأحداث تاريخية نقرأ عنها في كتبنا المدرسية، ونقول هذه حدثت هنا أو هناك، فمحيطنا ثري ببقايا العصور السابقة وخلف بساتيننا تمتد الصحاري التي تربط أرض السواد بصحاري نجد والحجاز!! وديارنا تجاور الحيرة حيث يسهل علينا الوصول إليها سيرًا على الأقدام..

الحيرة؛ عاصمة المناذرة ذات العبق التاريخي الساحر الغني بالتفاصيل المتنوعة، والتي كانت دائمًا مصدرًا لحكايات تختلط فيها الحقائق بالأساطير والوقائع بالخرافات الشعبية؛ من قصص البطولات والغموض السلطوي (مثلاً يوم النحس ويوم السعد) إلى الوقائع التاريخية (مثلاً قصير الذي جدع أنفه ليحذر الزَّبَّاء) أو المعارك الحاسمة (مثلا معركة ذي قار بين العرب والفرس) والتي دارت رحاها في موقع لا يبعد كثيرًا شرقي ديرتنا الفراتية!!

في نواحي الحيرة كنا نجوب الأطلال ونحن صغار، ندوس تراب الزمان ونتقاذف أحجار التاريخ المرتبطة بأمجاد الحيرة المعمارية، هنا كانت تنتشر في غابر الزمان بقايا الأديرة والكنائس حيث عرفت المنطقة الدين المسيحي قبل مجيء الإسلام!!

هنا في الحيرة كان يشمخ قصران أسطوريان؛ هما الخورنق

والسدير الشهيران، وأذكر أننا يومًا رافقنا مدرسنا نجوب التلال القريبة معتقدين أننا سنعثر على بعض بقايا القصرين الأسطوريين!!

وفي أثناء تجوالنا كان الأستاذ يستذكر لنا قصة المهندس المعماري سنمَّار الذي بنى كأحسن ما يكون عليه البناء القصرين أو أحدهما لملك الحيرة النعمان الأول الذي حكم من عام ٤٠٠ إلى ٤١٨ ميلادية في الحيرة.

وتقول الحكاية المتوارثة أن المهندس سنمار جعل في القصر سرًا وهو أن القصر يمكن أن ينهار إذا سحبنا من الجدار حجرًا معينًا!!

فكان جزاؤه أن ألقى به الملك من شرفة القصر فقتله!!

وكان يدهشنا هذا التصرف غير المفهوم لنا – نحن الصغار– من ملك الحيرة!!

فيحاول الأستاذ أن يفسر لنا: ربما كيلا يبني لغيره مثل ذلك القصر أو لكيلا يعرف أحد السر الذي وضعه سنمار في القصر فيأتي عدو يسحب الحجر فينهار القصر على الملك ومن فيه!!

فذهبت قصة المهندس المغدور مثالا لمكافأة أعمال الخير بالشر فنقول: جزاء سنمار!!

وبعد مائة عام من ذلك كان يجلس في ذلك القصر الأسطوري ملك الحيرة المنذر بن امرئ القيس الذي حكم زهاء خمسين سنة (٥١٤–٥٦٤م) والذي اشتهر باسم المنذر بن ماء السماء نسبة إلى أمه ماوية بنت عوف وقد سميت ماء السماء لحسنها..والتي يقال انها ربما تكون أخت كليب والمهلهل!!

والمنذر هذا من أرفع ملوك الحيرة شـأنًا وأشـدهم بأسًـا وأكثرهم أخبارًا.. وقد قتل عام ٥٦٤م؛ في يوم (حليمة) في موضع على طريق الفرات إلى الشام وراء الأنبار.. بعد فتنة نشأت بينـه وبين الحارث الغساني أدت إلى اشتعال الحرب بينهما!

وفي ذلك القصر الذي تطل أطلاله على هـور النجـف - يقول العارفون بالسرد القصصي الشيق في مجالس السهر والسمر - جرت الواقعة الشهيرة بين ملك الحيرة عمرو بن هند (بن المنذر ابن ماء السماء) مع الشاعر التغلبي عمرو بن كلثوم، حيـث أراد (الملك) أن يذل (الشاعر) بإجبار أمه على خدمـة أم الملـك ... وكان غرض الملك أن يثبت أنه ما من امرأة فـي بـلاد العـرب ترفض خدمة أم ملك الحيرة..

تقول الحكاية وقد سبق لي وأن قدمتها - تأليفًا وإخراجًـا - في دراما تلفزيونية:

سأل الملك عمرو بن هند ذات يوم مجلسه: (أتعرفون مـن ترفض أمه خدمة أمي؟).

فقالوا: (نعم، إنها آم الشاعر عمرو بن كلثوم ..)

فقرر الملك أن يتحقق من ذلك بنفسه، فدعا الشاعر وأمه إلى ضيافته / واتفق مع أمه أن تطلب من أم الشاعر خدمة مـا عنـد زيارتها لقصر الملك... ليرى إن كانت أم الشاعر سترفض خدمة أم الملك!!

ويسرد الساردون:

** عندما اجتمعت الملكة هند (أم الملك) مع كلثوم (أم الشـاعر) على مائدة الغداء طلبت هند من ضيفتها أن تناولهـا الطبـق فقالت كلثوم جملتها الشهيرة:

- لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها!!

وعندما أرادت الملكة آن تجبرها على خدمتها هتفت كلثــوم مستنجدة.

- واتغلباه!!

تستنجد بقبيلة تغلب التي ينتمي إليها الشاعر.

سمع ابنها الشاعر عمرو صوتها، ويبدو أنه كان قــد علــم (من أحدهم) غرض الملك من دعوته هو وأمه، فأدرك من صرخة أمه أن الملكة قد بدأت بتنفيذ خطة الملك المبيتة، فاستل سيفه وقتل الملك عمرو بن هند (٥٨٣م) ..

ولن تكتمل الحكاية عادة إلا بإنشاد الراوي لبضعة أبيات من قصيدة عمرو بن كلثوم التي مطلعها:

ألا هُــــبي بصــــحنك فاصـــــبحينا
ولا تبقــــــي خمــــور الانــــــدرينا

ويستمر الحكواتي الشعبي في إنشاد أبيات مختارة من معلقة عمرو بن كلثوم التي يقال إن أبياتها تجاوزت الألف بيت وصــلنا منها نحو مائة وعشرين بيتًا أو أكثر قليلا .. ومنها:

أبا هند فلا تعجــل علينــا	**وأنــظرنا نــخبرك اليــقينا**
بأنا نورد الرايــات بيضًــا	**ونصدرهن حمرًا قــد روينــا**
بأي مشيئة عمرو بــن هنــد	**تطيع بنا الوشــاة وتزدرينــا**

ويبلغ الراوي ذروة الطرب والنشوة وهو ينشد:

إذا بلغ الفطام لنـــا صـــبي تخر لـــه الجبـــابر ســـاجدينا

وينظر الراوي في وجوه المستمعين ثم يقول بعـــد صـــمت طويل مقصود: اسمعوا؛ اسمعوا ماذا يقول عمرو بن كلثوم:

لنا الدنيا ومن اضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينـــا

ويهتف الراوي وهو يترنح طربًا:

شوفوا المعنى.. شوفوا المعنى.. يا سلاااااااام!!

فيهتف الحاضرون: أعد.. أعد..

فيعيد الراوي البيت العظيم مرارًا منتشيًا بالمعاني البطولية التي ما زلنا نفهم كل مفرداتها بالرغم من أنها قيلت قبل حـــوالي ١٥ قرنًا!!

ونشعر بالفخر لأنها قيلت يومًا ما في المنطقة التي نعـــيش فيها الآن، الغنية بالأحداث التاريخية المثيرة، ويقول بعضنا: هؤلاء أجدادنا ..

والملك غمرو بن هند هذا هو الذي أرســـل إلـــى المـــوت الشاعر العربي البحريني طرفة بن العبد (ولد في البحـــرين عـــام ٥٣٩ ميلادية) هو وخاله الشاعر الكبير المتلمس حاملين رسالتين إلى حاكم البحرين لقتلهما.. دون أن يعلما مضمون الرسالتين!!

وكانت أول استراحة للشاعرين وهما فـــي طريقهمـــا إلـــى البحرين على شواطئ الفرات في منطقة المشخاب، التـــي ولـــدت

وعشت طفولتي فيها وما زالت تحمل اسمها الأكدي القديم الـذي يعني المهجع أو المضجع أو المكان المريح، ولفظة مشخاب لهـا ذات المعنى في الآرامية والعبرية!! وربما أطلق هذا الاسم على المنطقة لامتداد حقولها الخضراء ومزارعها وبسـاتينها الوارفـة حتى يومنا هذا، وكأنها مهجع طبيعي ..

تقول المصادر إن الشاعر المتلمس توجس شرّا من رسـالة الملك إلى حاكم البحرين فقرر أن يتوقف حتى يجد من يقرؤها نه (كان الشاعران الكبيران طرفة والمـتلمس لا يحسـنان القـراءة والكتابة!!!) بينما رفض الشاعر طرفة بن العبـد الفكـرة وقـرر مواصلة طريقه باتجاه البحرين عبر بادية السماوة وما بعدها!!

وقد عثر المتلمس على من يقرأ لـه الرسـالة، فعـرف أن مضمونها أمر من الملك إلى حاكم البحرين بقتله، فرمى الرسـالة في الفرات وهرب إلى الشام حيث توفي بعد ١٨سنة في بصـرى (عام ٥٨٠ ميلادية – أي قبل الهجرة بـ٤٣ سنة).

بينما واصل طرفة بن العبد رحلته إلى البحـرين معتقـدًا أن الرسالة توصية من الملك إلى المكعبر حاكم البحرين وعمان لمنحه العطايا!! وعندما فتح المكعبر الرسالة وقرأ فحواها وجد أن الملـك الجبار عمرو بن هند يأمر في رسالته المشئومة تلك بقتل طرفة حال وصوله إلى البلاد؛ فنفذ حاكم البحرين أمر الملك وقام بقتل الشاعر طرفة (عام ٥٦٤ للميلاد – أي قبل الهجرة بستين سنة تقريبًا).

وطرفة بن العبد واحد من فحـول شـعراء العـرب فـي الجاهلية، وبالرغم من وفاته المبكرة (كان في الخامسة والعشرين من عمره عند مقتله) فقد وصلنا من شعره ٣٤ قصيدة مجمـوع أبياتها ٤٣٦ بيتًا...

منها معلقته الشهيرة التي مطلعها:

لخولـــــة أطـــــلال ببرقـــــة ثهمـــــد
تلوح كباقي الوشـــم في راحـــة اليـــد
وقوفًـــا بها صـــحبي علـــي مطـــيهم
يقولـــون لا تهلـــك أسًـــى وتجلـــد

ويأتي في ختامها بيت الشعر الذي ذهب مثلاً عبر العصور وحتى يومنا هذا:

ستبدي لك الأيام ما كنـــت جـــاهلاً
ويأتيـــك بالأخبـــار مـــن لم تـــزود

ومن أشهر ملوك الحيرة آخـــرهم، أقصـــد النعمـــان بـــن المنذر(٥٩٢م – ٦٠٨م) حفيد المنذر بن ماء السماء، والنعمان هذا هو الذي امتدحه بعض أشهر شعراء الجاهلية كالنابغـــة الـــذبياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي، ويقترن اسمه بواقعة ذي قار، التي جرت بين العرب والفرس قريبًا من زمن البعثة النبوية الشـــريفة، وقيل إن كسرى سجنه في خانقين وقيل إنه ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته فهلك!!

وكان النعمان الأخير قد جعل لنفسه يومين متناقضين فـــي السنة: يوم للنعيم يكرم فيه أول من يلتقيه في ذلك اليوم مائة مـــن الإبل – ويوم البؤس أو النحس وفيه يقوم بذبح أول من يطل عليه في ذلك اليوم!!

ومن بين الذين قتلهم في يوم نحسه وبؤسه صديقه الشاعر الحكيم عبيد بن الأبرص الأسدي الذي عاصر امرأ القيس وله معه مناظرات معروفة في الأدب العربي وكان ابن الأبرص من حكماء العرب قبل الإسلام وهو صاحب المعلقة المعروفة بجودة الصياغة ومتانة المعاني والتي مطلعها:

أقفرَ من أهله ملحوبُ فالقطيبات فالذنوبُ

وهي قصيدة مليئة بالحكم البليغة السارية حتى يومنا هذا، ومنها قوله:

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

ومنها أيضًا البيت الذي يدل على رؤية جماعية تضامنية تكافلية بناءة حيث يقول:

ساعد بأرض إذا كنت بها ولا تقل إنني غريب

والمعروف عن الشاعر عبيد بن الأبرص أنه قد عاش طويلاً، حتى وفد على النعمان بن المنذر في يوم بؤسه فلم يشفع للشاعر عمره وشهرته ولم تنقذه منزلته الشعرية والاجتماعية العالية من تنفيذ الملك الجبار لقراره الجائر الدموي فقتله ربما سنة ٦٠٠ للميلاد (حوالي ٢٥سنة قبل الهجرة)!!

نتجاوز الحيرة المجاورة لديرتنا لنصل بعد عشرة أميال إلى النجف بكل ما فيها من مراكز دينية وعلمية واجتهاديـــة وتـــدفق لآلاف الزوار وطلاب العلم والمعرفة، ومنذ طفولتنا المبكرة كانت مرافقة الأهل لزيارة مرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) واحدة من نشاطاتنا المفعمة بالإجلال والهيبة وكذلك السرور!

وتجاور النجف مدينة الكوفة، بل إنها لتلتصق بهـــا حاليّـــا وكأنهما مدينة واحدة ..

ولا تكتمل زيارة النجف بدون زيارة الكوفـــة، حيـــث دار الخلافة، وبيت الإمام علي ومسجده، والمكان الذي اغتيـــل فيـــه، وكان تناول الماء من بئره يعتبر بالنسبة لنا نوعًا مـــن الاحتفـــال المهيب حيث يتبارك الزوار باحتساء شيء من مياهه العذبة!!

وللكوفة – كما هو معروف – منزلة خاصة في التـــاريخ العربي والإسلامي، ويرتبط اسمها في أذهاننا إضافة إلى دورهـــا السياسي في تأسيس الدولة الإسلامية، يرتبط أيضًا ثقافيًا بالمدارس اللغوية والشعرية .. وترتبط بالمدينتين – النجف والكوفة – أسماء الكثير من الشعراء قديمًا وحديثًا ..

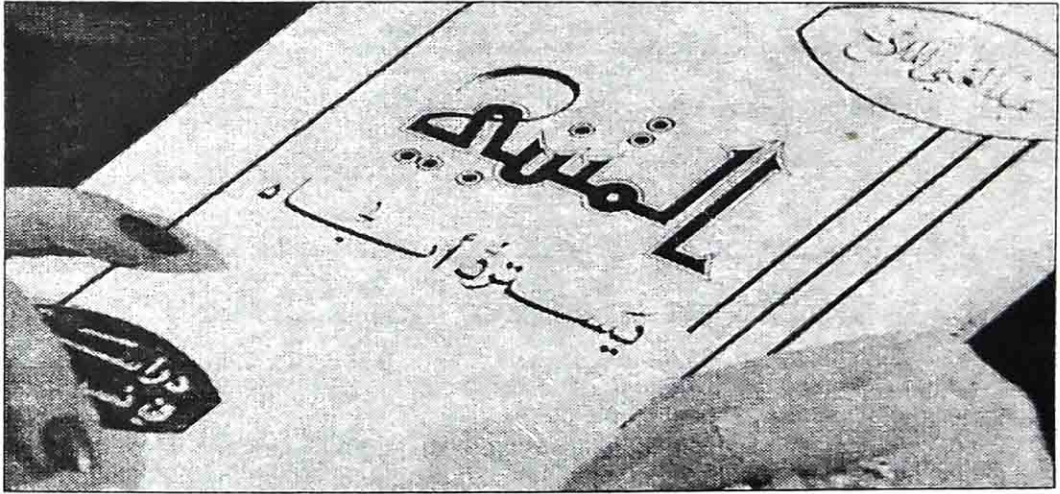
في الكوفة كان مولد أبي الطيب المتنبي عام ٣٠٣ للهجرة.. الذي يحيط بنسبه الكثير من الغموض!! فهو نفسه لم يكن يفصـــح عن نسبه إلا تلميحًا في شعره مما يدل على أنه من بيت يفتخر به من ينتسب إليه! أليس هو القائل في مجلس سيف الدولة:

سيعلم الجمـــع ممـــن ضـــمن مجلسنـــا
بأنني خـــير مـــن تســـعى بـــه قـــدم

يروي القاضي أبو علي المحسن التنوخي في الجزء الرابع من كتابه الممتع (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) أنه قد التقى المتنبي وهو عائد في رحلته الأخيرة من شيراز (قبل اغتياله بأيام أو أسابيع) وسأله عن نسبه فما اعترف له به.. وكان جواب المتنبي، كما ينقله التنوخي:

(أنا رجل أخبط القبائل وأطوي البوادي وحدي ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينهم وبين القبيلة التي انتسب إليها وما دمت غير منتسب إلى أحد، فأنا أسلم من جميعهم!).

وللمؤرخ والباحث الكبير عبد الغني الملاح نظرية جريئة خصص لشرحها وإثباتها كتابًا كاملاً بعنوان (المتنبي يسترد أباه) وقد أعيد طبع هذا الكتاب المثير للجدل أكثر من مرة منذ عام ١٩٧٣، وفيه يصر الملاح على أن المتنبي من سلالة مرموقة، فقد جعل أباه الإمام الثاني عشر لدى الجعفرية .. الإمام المهدي المنتظر!!



كنا في عام ١٩٩٤ قد حضرنا احتفالا أدبيّا وثقافيّا حاشدًا في ذكرى المتنبي أقيم على مشارف النعمانية في واسط؛ عند نصب مهيب يظلل قبرًا وحيدًا أبيض اللون على شكل جناحي حمامة، عليه

كتابة مقتضبة تؤكد اسم من يفترض أنه يرقد في أعماقه:



أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندي المتنبي

ولد سنة ٣٠٣ للهجرة - وقتل سنة ٣٥٤ للهجرة

ومن يومها تملكتني الرغبة في معرفة خفايا وتفاصيل اغتيال المتنبي قبل أكثر من عشرة قرون، ولسنوات عديدة كنت أفكر بعمل تلفزيوني عن المتنبي، عمل بعيد عن الدراما التقليدية، إذ أن ما كان يشغل بالي ليس التنقيب عن مراحل حياة المتنبي عامة ولا الخوض في محطات حياته المتنوعة، وإنما واقعة الاغتيال فقط، كواحدة من مظاهر العنف الدموي في تاريخ العراق: كيف تمت؟ أين وقعت؟ الدوافع والأسباب ؟ من اقترف الجريمة؟

وقد سبق لي وأن تطرقت إلى هذا الأمر أكثر من مرة، ولكن من خلال لمحات خاطفة وإشارات بسيطة في بعض أعمالي التلفزيونية ذات التوجه التاريخي والتي قمت بكتابتها وإخراجها في أكثر من بلد عربي، وقد اخترت لنفسي عنوانًا عامًا دليلا ومرشدًا لتأطير كيفية المعالجة الأدبية والتاريخية والفنية التي أبتغيها، وكان

ذلك الإطار بعنوان (رؤية الماضي بعين الحاضر) وهذا العنوان يعني بالنسبة لي أنني لست مؤرخًا تقليديًا، ولا أسعى للتعويض عن كتب التاريخ التي يستطيع المرء أن يلجأ إليها متى شاء وأن ينتقي منها الصفحات التي يريد قراءتها بتسلسل أو دون تسلسل!

لقد كنت – وما زلت – أتوخى اقتفاء الحدث التاريخي بصفته علاقات درامية بين الشخص وعصره وبيئته وأبحث في علاقاته الاجتماعية والفكرية والمؤثرات التي دعته إلى أن يكون كذا وليس كذا!!

ومن هنا جاءتني فكرة برنامج (اقتفاء أثر) وأتوخى فيه التحقيق عن حدث معين في زمن معين ومكان معين ..وقد عقدت العزم على أن تكون البداية اقتفاء اثر المتنبي في الأيام الثلاثة الأخيرة من حياته!! مؤامرة الاغتيال المدبرة!!

فقررت القيام بتحقيق في تلك الجريمة ومتابعة أثرها ليس فقط في الكتب والمصادر التاريخية والحديثة، وإنما أيضًا في أرض الواقع! في مكان الجريمة باحثين عن الأدلة والشواهد التي قد ترشدنا إلى الجناة وتكشف لنا تفاصيل جريمة اغتيال المتنبي:

متى؟ كيف؟ أين؟ .... ولماذا؟

***

بعد تنقيب حثيث استغرق عدة أشهر في بطون الكتب، لتجميع المعلومات المتناثرة حول اغتيال المتنبي قبل حوالي ألف وخمسين سنة، وبعد لقاءات مع عدد من الباحثين التاريخيين والآثاريين من ذوي الاختصاص، وبعد تجميع لبضع وثائق فريدة ونادرة ممن ساهموا في القرن الماضي بالتنقيب عن قبر المتنبي

في محافظة واسط، جاء وقت القيام برحلة الاكتشاف على أرض الواقع، واقتفاء أثر المتنبي في الطريق التي سلكها عائدًا من شيراز إلى بغداد في رمضان من عام ٣٥٤ للهجرة تلك الرحلة المشئومة التي انتهت باغتياله!!

استغرقت البحوث التي أجريتها أكثر من عام، ثم كتبت السيناريو للفيلم التلفزيوني المزمع تحقيقه!! .. وكنت أبحث في الكتب والمصادر، واللقاءات التي أجريتها مع المختصين والباحثين، عن إجابات لأسئلة محددة:

- **هل القبر المشيد الآن قرب النعمانية هو قبر المتنبي فعلا؟**
- **هل دفن في هذا الموضع عام ٣٥٤ للهجرة (٩٦٥ ميلادية)؟**
- **هل قتل المتنبي هناك؟ وكيف اغتيل وأين ولماذا؟**
- **ومن هو فاتك الأسدي الذي قتله مع زمرته؟**
- **وهل فر المتنبي فعلا - كما يدعي البعض - من ساحة المعركة، ثم عاد بعد أن عيره خادمه ببيت شعره المشهور: الخيل والليل ..؟**

وكان سيناريو الفيلم التلفزيوني مبنيًا على أساس أننا نقتفي أثر المتنبي في اليوم الأخير من حياته في المنطقة التي تقول معظم المصادر إن فاتك الأسدي قد اغتاله فيها قبل أكثر من ألف عام؛ وكانت الممثلة هند كامل هي التي تقوم باقتفاء هذا الأثر أمام الكاميرا وهي التي تقوم بالتحقيق المرئي بحثًا عن الحقيقة التاريخية!

وبعد إنجاز الفيلم التلفزيوني وجدت أنه لم يستوعب كل المعلومات والتفاصيل التي توفرت لنا!!

وفكرت: ربما يكون من المفيد أن أصوغ الموضوع في كتاب

مطبوع، حافظت فيه على ملامح البناء التلفزيوني للسرد والوصف فجاء في صياغة قد يراها البعض (هجينة) فلا هي رواية ولا هي سيناريو ولا بحث تاريخي علمي أو دراسة تحليلية!!

إنها صيغة مقروءة لفيلم تلفزيوني لم يتسع للتفاصيل التي اجتمعت لدينا عن الرحلة الأخيرة لأبي الطيب المتنبي نحو الموت، وهو في طريقه من شيراز إلى الكوفة .. أو بغداد؟ هذا ما لا يستطيع أحد الجزم به .. فقد عبر دجلة وسلك طريقًا كان يمكن أن يقوده إلى هذه أو هذه .. فقاده إلى الهلاك ليصدق قوله في آخر قصيدة قالها:

وأيا شئت يا طرقي فكوني أذاة أو نجاةً أو هلاكا

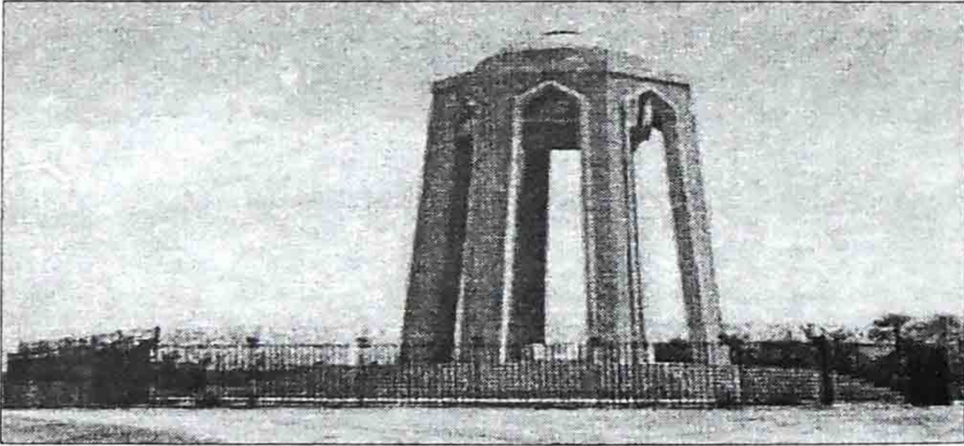
القاهرة ٢٠٠٤

فيصل الياسري

عند ضريح المتنبي

(١)

حملنا أجهزتنا التلفزيونية في صباح يوم شتوي دافئ نسبيًا وتوجهنا من بغداد باتجاه الجنوب نحو واسط، وكان هدفنا ضواحي النعمانية حيث يرتفع شاهقًا نصب شامخ يظلل قبرًا وحيدًا أبيض اللون على شكل جناحي حمامة، عليه كتابة مقتضبة تؤكد اسم من يفترض أنه يرقد في أعماقه: أبو الطيب المتنبي ..



كان هذا الصرح قد شيد في الستينيات من القرن الماضي بين بساتين النخيل الباسقة على الشاطئ الغربي من نهر دجلة نواحي النعمانية التي جاءت تسميتها نسبة إلى قصر قديم يقول الآثاريون إنه يعود إلى الملك النعمان بن المنذر شيده لإحدى أخواته!

(٢)

وصل موكبنا الفني إلى الضريح المشيد بنمط عصري تجريدي إلى حد ما، والذي يبعد عن الطريق العام بضعة مئات من الأمتار... ولم يكن غيرنا في المنطقة سوى قطيع من الغنم يسوقه راعيان نحو مرعى مناسب، اعترض القطيع طريق السيارة السوداء التي كانت تقودها الممثلة هند كامل، التي تلعب دور الدليلة التي تقودنا عبر التاريخ والمواقع الحقيقية..

وتعبيرًا عن تفرد القبر وعزلته كانت اللقطة الأولى من الفيلم التلفزيوني تقضي بتصوير سيارة هند وهي تشق طريقها على درب طيني بين البساتين نحو قبر المتنبي..



توقفت السيارة عندما اعترض طريقها قطيع الخرفان، فاشرنا لهند أن تواصل طريقها ولو ببطء نحو القبر، وأننا ما زلنا نصور، فقد كان منظر السيارة الحديثة جميلا بين قطيع الغنم الذي يسد عليها الطريق نحو القبر!!

إضافة إلى ما للموقف من دلالة خاصة حيث يبدو الطريق إلى قبر أحد أكبر شعراء العربية وعرًا مهجورًا بلا حراسة أو رعاية .. ولا احد يفكر من ركاب السيارات التي تمر مسرعة على الطريق العام الذي لا يبعد عن القبر أكثر من ٣٠٠ متر، بالتوقف وزيارة قبر الشاعر الذي نظر الأعمى إلى أدبه!!

تجاوزت سيارة هند قطيع الغنم ووصلت إلى سور الضريح حيث توقفت وغادرت هند السيارة متأملة المكان .

كانت الأرض مبللة ببقايا المطر الذي هطل الليل كله فغسل الأشجار والأحراش، وغسل السور الحديدي الأسود الذي كان يعلوه بخط كوفي مجسم واحد من أشهر الأبيات التي يمدح بها المتنبي نفسه:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي   وأسمعت كلماتي من به صمم



كانت اللقطة التالية تقضي أن تتوقف هند أمام السور وتقرأ بصوت مسموع بيت شعر المتنبي المرسوم بالحديد أعلى السور، وكنا قد أرسلنا قبل يوم مَن قام بتنظيف الحروف، وإعادة الرونق للمكان!

انتهت لقطات التصوير الأولى...

المنطقة هادئة؛ لا أحد سوى مجموعة من الأطفال متوجهين إلى مدرستهم!!

الأطفال يتوقفون عن بعد ينظرون إلى مجموعة الفريق التلفزيوني التي جاءت في هذا الوقت المبكر ونشرت معداتها لتصور الموقع.

تعلقت أنظار الأطفال بتلك السيدة العصرية في السيارة الحديثة وهي تشق طريقها بين الأغنام وفي الوحل، لتقف أمام الضريح الشامخ!!

ثم تقف أمام البوابة المغلقة دون قفل ..تدفع الباب الحديدي، فيصدر عنه صرير لقلة الاستعمال ..وتتقدم ممثلتنا التي كانت في تلك اللحظات مسكونة بذكرى المتنبي فتصعد السلالم الأولى نحو القبر.



وبينما كنا ننقل الكاميرا إلى لقطة جديدة من زاوية مناسبة من بين أعمدة الضريح، توجهت هند كامل إلى مجموعة الأطفال الذين ما زالوا يراقبون عن قرب .. فتجمعوا حولها بفرح يشوبه الخجل والحذر، وبعد التحية، أرادت أن تكشف ما يعرفه أطفال

المنطقة عن ذلك القبر ..

فسألتهم: (قبر من هذا؟)

فهتف أغلبهم باسم المتنبي .

ولكن أحد الصبيان الأكبر سناً قال: إنه قبر (أبو سورة) لكن الحكومة تقول إنه قبر المتنبي!!

- أبو سورة.. من هذا أبو سورة؟

وعندما استفسرنا عن (أبي سورة) قيل لنا إنه كان في ذلك الموضع قبر قديم بسيط لرجل من أصحاب الكرامات، لا تقربه مياه دجلة عندما يفيض، وإنما كانت المياه تدور حول القبر في حركة لولبية، يسميها الأهالي (سورة الماء) أي دورانه بشدة في مكانه، وصار صاحب القبر المجهول يعرف باسم (أبو سورة) ..



إلى أن جاءت الحكومة قبل عشرات السنين متمثلة ببعض اللجان المهيبة، ودرست وفحصت ثم استقر رأيها على أن هذا الموضع هو قبر الشاعر أبي الطيب المتنبي!!

(٣)

هيأ فريق العمل متطلبات التصوير للقطة الجديدة داخل النصب المتكون من أعمدة شامخة تتشابك في القمة مكونة حلقة تخترقها أشعة الشمس عبر الزجاج الملون الذي يكسو الفتحة العليا... وكانت زقزقة العصافير التي تعشش في أعلى الأعمدة، تملأ المكان ضجيجًا، كاد أن يعرقل تسجيل الصوت نقيًا!!

دليلتنا في البرنامج الممثلة هند كامل تتوقف أمام القبر الأبيض، ثم تقرأ المدون عليه..

أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندي المتنبي

ولد سنة ٣٠٣ للهجرة

قتل سنة ٣٥٤ للهجرة



(٤)

** تتفق جميع المصادر والروايـــات المدونـــة والمتناقلـــة مشافهة، على أن الشاعر الكبير الذي ملأ الدنيا وشغل الناس / أبا الطيب المتنبي اغتيل يوم الأربعاء الثامن والعشرين من رمضان عام ٣٥٤ للهجرة الموافق للسابع والعشرين من **أيلول / ســـبتمبر** عام ٩٦٥ .. في هذه النواحي من واسط، قريبًا من **ضفاف دجلة..**

- **ما الذي جاء به إلى هذه الديرة؟**
- **من اغتاله؟**
- **لماذا؟**
- **كيف؟**
- **ألم يجد من يدافع عنه؟**
- **أهذا هو قبر المتنبي حقًا؟**
- **أدفن هنا يوم اغتياله؟**
- **والذين شيدوا هذا الصرح بعد مرور ألف وخمسين سنة على اغتيال المتنبي، أكانوا واثقين من أن القبر قبره؟**

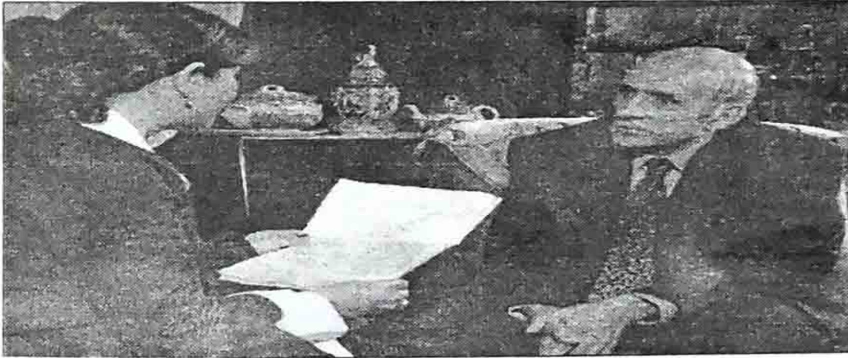
كانت المهمة التي وضعناها نصب أعيننا من وراء برنامجنا التلفزيوني (اقتفاء أثر) هو الإجابة عن هذه الأسئلة والتحري عـــن الوقائع على أرض الواقع وبين صفحات الكتب وبالحوار مع ذوي الاختصاص!!

البحث عن قبر المتنبي

(٥)

بدأ البحث والتقصي عن قبر المتنبي في منتصف القرن الماضي، وقد قاد الحملة في حينه متصرف لواء الكوت (كما كانت تسمية المحافظ سابقاً) وكان أنذاك السيد محسن الرفيعي؛ الذي زرناه في بيته في المنصور، وما إن ذكرنا اسم المتنبي أمامه حتى نشطت ذاكرته فأخرج لنا ملفاً كاملا بالوثائق عمرها زهاء الخمسين سنة!!

وعندما جلست أمامه هند كامل سرد على مسامعها الحكاية معززها بالوثائق والرسائل والصور والخرائط ..



يتذكر محسن الرفيعي (٨٣) التفاصيل التي عاشها في الستينيات من القرن الماضي قائلا:

في الحقيقة هنالك بعض الشخصيات في لواء (= محافظة)

الكوت كانت تعتني بالقضايا التاريخية، هؤلاء راجعوني في الستينيات من القرن الماضي يعرضون علي فكرة مشاعة بين الناس مفادها أن قبرًا متداعيًا في المنطقة بالقرب من النعمانية يعتبره الناس قبر المتنبي، ورجوني أن أفاتح الجهات المختصة أن تعاوننا بالبحث والتقصي والتحقيق فيما إذا كان هذا هو قبر المتنبي فعلا؟... فأنا بدوري شكلت لجنة برئاستي، ثم حررنا رسالة بتاريخ ٣-٤-١٩٦٧ وجهناها إلى كل من جامعة بغداد والمجمع العلمي ومديرية الآثار العامة وجمعية الكتاب والمؤلفين نستفسر في الرسالة عن قبر المتنبي ..

وكان المحافظ السابق الرفيعي يسند كلامه بالوثائق، وقد ناول محدثته الوثيقة الأولى وتحمل الرقم ٣١٠١ بتاريخ ١٩٦٧/٤/٣، بتوقيع المتصرف (المحافظ) محسن الرفيعي، وتقول الرسالة في بدايتها:

((.... من مفاخر الأدب العربي؛ ومن مبدعي الشعر عند العرب شاعرنا العظيم أبو الطيب المتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بشعره؛ وبالرغم من أهميته الأدبية فقد بقي موضوع مقتله مجهولاً وتعددت فيه الروايات؛ ونظرًا إلى وجود قبر قديم مشيد بالطابوق؛ تعارف الناس على تسميته بقبر المتنبي يقع شمال مركز قضاء النعمانية أي في موضع جنوب أطلال النعمانية القديمة بحوالي خمسة كيلومترات؛ ونظرًا إلى ورود أخبار في بعض المصادر الأدبية والتاريخية عن مقتل المتنبي قرب النعمانية القديمة؛ وكان قد قام بدفنه أهل (جُبل) التي تقع أطلالها جنوب النعمانية، وإدراكًا منا لأهمية هذا الشاعر العظيم وضرورة الاعتناء بقبره وتخليد ذكراه كما تفعل الأمم المتمدنة بعظمائها،

لذلك ...)) وتنتهي الرسالة بنداء هو أقرب إلى صرخة استغاثة:

((.... نتوجه إليكم، أنتم الجهات المعنية بالأدب والتراث التاريخي بالاستفسار عن موضع قتل المتنبي والبحث عنه والتحقيق فيما إذا كان مكان قتله هو غير مكان دفنه - راجين التفضل بالإجابة وعن صحة تسمية القبر الموجود حاليًا خارج النعمانية بقبر المتنبي ليتسنى لنا إجراء اللازم للاحتفال بتخليد ذكره وإظهار مرقده ....)) (*).

وكانت تلك الاستغاثة قد أرسلت أيضًا إضافة إلى الجهات الرسمية إلى عدد من العلماء والباحثين المعروفين؛ منهم:

أعضاء المجمع العلمي د. أحمد سوسة / د. مصطفى جواد / د. إبراهيم شوكت / د. يوسف عز الدين / كوركيس عواد.

ومن دائرة الآثار العامة د. فيصل الوائلي / د. عبد العزيز حميد مدير الأبحاث الإسلامية / د. طارق مظلوم مدير الأبحاث الأشورية.

لقد كان الاهتمام كبيرًا بهذه الدعوة الفكرية الطموحة، حتى إن العديد من الأشخاص من غير ذوي الاختصاص أدلوا بدلوهم وبادروا إلى تقديم ما لديهم من معلومات عن الموضوع استجابة إلى نداء نُشر في الصحف يدعو من لديه معلومات نافعة عن قبر المتنبي أن يعرضها على اللحنة .

وقد استرعى انتباهنا ونحن نقلب الأوراق القيمة التي وضعها الأستاذ محسن الرفيعي بين أيدينا أن نجد بحوثًا ودراسات

* - جميع الوثائق المذكورة في الكتاب لدينا بنسخها الأصلية هدية من الأستاذ الرفيعي ومن عائلة المرحوم العلامة د. أحمد سوسة ومن المرحوم العلامة عبد الغني الملاح الذي التقيناه قبل وفاته بأسابيع وصورنا معه حديثًا مهمًا سنورد جوانب منه في سياق هذا البحث!

تطوع الكثيرون إلى وضعها سعيًا وراء اكتشاف حقيقة موضع قبر المتنبي – قبل أن تباشر أية لجنة رسـمية أعمالهـا –! وأثـارت إعجابنا تلك الدراسة الطيبة التي وضعها السيد عبد الأمير محمود الوائلي بتاريخ ١٩٦٧/٥/١٥ ليس لأنها أفضل من غيرها ولكن لأن واضعها ليس من أهل الاختصاص فهو موظف إداري في أقصى الجنوب حيث كان قائمقام قضاء سوق الشيوخ وقد كتـب تحقيقـا مكثفًا عن الطريق الذي سلكه أبو الطيب من شيراز قاصدًا بغـداد أو الكوفة!

(٦)

أرسل عبد الأمير الوائلي، قائمقام البلدة النائية (سوق الشيوخ) التي تجاور أهوار الجنوب بحثه الجاد عن اغتيال المتنبي استجابة إلى نداء متصرف (= محافظ) الكوت (حاليًا واسط) بالتنقيب عن قبر المتنبي، مرفقًا برسالة يقول فيها:

(.... علمت أن سيادتكم مهتم كل الاهتمام بالبحث عن الموقع الذي قتل فيه أبو الطيب المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ... ومساهمة مني في هذا البحث أرسل لسيادتكم خلاصة ما توصلت إليه من جهد فيما يتعلق بالمكان الذي قتل فيه .....).

وقد ركز الوائلي في بحثه الطريف على تحديد موقع مقتل المتنبي حسب المصادر التاريخية وهو بين النعمانية ودير العاقول، والمكان في رأيه هو غير المكان الذي حدده عبد الوهاب عزام في كتابه (ذكرى أبي الطيب المتنبي) الذي وضعه في النصف الأول من القرن الماضي بعد أن زار المنطقة باحثًا عن قبر المتنبي!!

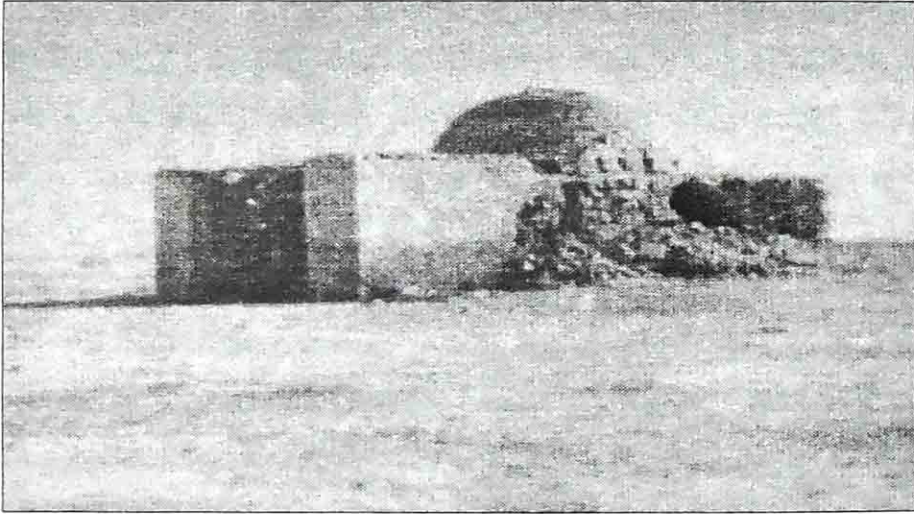
ويتحدث عبد الأمير الوائلي عن المنطقة حديث باحث خبير، ليس فقط بسبب ما استقاه من معلومات من الرحالة والجغرافيين العرب، وإنما لكونه حسب قوله من أهالي تلك المنطقة التي ولد وعاش فيها، وقد اهتم دائمًا بتاريخها والتقلبات التي مرت بها مدنها وقراها ..

ويؤكد بعد وصف تفصيلي للمناطق الحالية والمندثرة، بأنه يرشح منطقة الصافية ميدانًا للمعركة التي قتل فيها المتنبي:

(... في موقع يدعى الآن أبو سورة عند بداية طريق النعمانية

– الهاشمية – الكوفة – بالقرب من منازل عشيرة بنـــي كـــلاب ... وهي أرض متموجة نتيجة لتغير مجري نهر دجلة أكثر من مرة ... ويمكن تحديد موقع المعركة في ذلك المكان المسمى (أبـــو ســـورة) والذي يبعد عن النعمانية بمسافة ميل واحد شمالا.

وفيه قبة شيدت على قبر رجل مجهول، وتم تجديد بنائها في الثلاثينيات، ويرى أهالي النعمانية أن صاحب هذا القبر ليس برجل دين ولا بالسيد من ذرية الرسول الأعظم، كما أنهم يرون أن سبب هذه التسمية يعود إلى وقوع القبر قرب منعطف حاد للنهر ســـريع الجريان ...!!).



صورة تعود إلى الستينيات من القرن الماضي للقبر القـــديم المنسوب إلى (أبي سورة) والذي شيد عليه صرح المتنبي الحـــالي (من وثائق عبد المحسن الرفيعي).

(٧)

لم يقتصر الأمر على الوائلي ابن تلك المنطقة، الذي وجدنا عنده حماسة علمية وعاطفية للتنقيب عن قبر المتنبي واكتشاف موقعه الفعلي! فقد استجاب الكثيرون إلى النداء الذي نشرته الصحف عام ١٩٦٧ للتنقيب عن قبر المتنبي بالقرب من النعمانية، وقدم العديدون مطالعاتهم وآراءهم قبل أن تبدأ اللجنة الرسمية العلمية التاريخية أعمالها.

فمن البحوث الدقيقة والمفصلة استنادًا إلى المصادر نخص بالذكر تلك الدراسة التي قام بها صبيح رديف وكان يومها أمين مكتبة المجمع العلمي العراقي، ويبدو أن هذا الرجل كان سباقًا بالاهتمام بموضوع مقتل المتنبي وقبره، فقد بدأها – حسب قوله – عندما كان موظفًا في النعمانية قبل أن ينتقل إلى العمل في مكتبة المجمع العلمي، حيث عثرنا على رسالة بخط يده موجهة إلى الدكتور العلامة أحمد سوسة، يشكره فيها على إهدائه نسخة من كتابه (مشروع سنحاريب) ويذكر صبيح رديف في رسالته أنه يقوم ببحث عن الشاعر المتنبي ومقتله وقبره، وأنه سيعلم الدكتور سوسة بتفاصيل ما سيتوصل إليه عندما ينتهي من بحثه .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسالة مؤرخة في ١٩٦٢/٥/٨ أي قبل خمس سنوات من قيام الجهات الرسمية بالتحقيق عن قبر المتنبي وتأليف لجنة متخصصة لذلك، كان من بين أعضائها صبيح رديف نفسه الذي نقب في الكتب والمصادر وقدم للجنة بحثًا تاريخيًا مفصلا عن مقتل المتنبي وموقع المعركة وموضع القبر. وينتهي إلى

أن اغلب المصادر تتفق على أن اغتيال المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح تم بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية ...

وبعد أن يناقش صبيح رديف جميع الافتراضات عن المكان الذي دارت فيه المعركة بين المتنبي ومهاجميه، ويصل إلى نتيجة أساسية هي إنها تمت بين دير العاقول والنعمانية، ينتقل إلى مناقشة النقطة الأهم والمتعلقة بقبر المتنبي .. هل هذا القبر هو قبر المتنبي؟

يقول رديف في نهاية بحثه: (يقع شمال النعمانية الحديثة وجنوب غربي النعمانية القديمة، قبر مجهول موجود قبل تأسيس النعمانية الحالية، والشائع عند أهل المنطقة أن هذا القبر هو قبر المتنبي، الشاعر العربي الخالد ..)

ويضيف قائلاً: (... وقد علمت من بعض المعمرين أن هذا القبر شوهد منذ أكثر من مائة وخمسين سنة وعليه ما يشبه القبة وحوله مقبرة أيضًا .. .. ولما كان المتنبي قد قتل في هذه الناحية وصح خبر دفنه فإنه من المحتمل أن يكون هذا القبر هو قبر المتنبي فيما يبدو لي، والله أعلم).

وإلى نتائج مشابهة توصل باحثان متطوعان آخران حصلنا على وثائقهما التي تعود إلى منتصف القرن الماضي هما الشيخ عبد الجبار الأعظمي المشرف على دار الثقافة الإسلامية والسيد راضي طباطبائي الذي قام بتتبع طريق المتنبي من شيراز إلى منطقة النعمانية .. وخلص مثل غيره من الباحثين إلى أن مكان الأحداث هي منطقة النعمانية غربي نهر دجلة!!

ولكن أهذا هو القبر!؟ الله أعلم.

(٨)

- لم يكن هذا ما يشغل بالنا ..

قال السيد محسن الرفيعي ونحن نحتسي الشاي معه في منزله بحي المنصور في بغداد وأكمل بصوت رجل تجاوز الثمانين من عمره:

- .... فالجميع يعرفون الطريق الذي سلكه المتنبي من شيراز إلى الكوفة، ولدينا شاهد من عصره يتحدث عن المعركة التي قتل فيها المتنبي ..
- ما الذي كان يشغلكم إذن؟ قالت هند كامل ..
- ما يشغلنا كان هو قبر المتنبي، أين يمكن أن يكون هذا هو ..؟ قال الرفيعي.
- ربما يكون مكان دفنه غير المكان الذي قتل فيه .. قالت هند.
- نعم، من المحتمل جدًا أنهم قد حملوه إلى مكان مناسب، مكان مألوف لدفن الأموات .. فأنت تعرفين بأن الكثير من المقابر الجماعية الصغيرة تنتشر في الأرياف!
- دعنا نعود إلى بحوث اللجنة التي قامت بالتنقيب عن قبر المتنبي قبل حوالي خمسين سنة ..
- تم تشكيل اللجنة برئاستي، وقد دعوت ذوي الاختصاص لتناول الغداء في يوم جمعة في مدينة الكوت ومن ثم التوجه إلى النعمانية لتفقد القبر وإعطاء رأيهم بالموضوع وليكونوا على بينة، وفعلاً القسم الأعظم منهم لبى الدعوة، فعقدنا الاجتماع

الأول في نادي الموظفين، وأنا دعوت الدكتور أحمد سوسة أن يترأس الجلسة باعتباره أكبرنا سنّا وأزيدنا علمًا، فترأس جلستين وفي الثالثة طلب مني رئاسة الجلسات وأيده الآخرون!

- وإلى ماذا انتهت تلك الاجتماعات؟ سألت هند كامل مستوضحة.

- إضافة إلى القادمين من بغداد، كانت هنالك مجموعة من المهتمين بالموضوع من أهل الكوت نفسه، دعينا نسميها (مجموعة الكوت) وكانت هذه المجموعة منقسمة على نفسها: قسم يميل إلى أن هذا ليس قبر المتنبي فهو غير معروف أين .. وأن هذا القبر يعود إلى شخصية مجهولة اسمه لدى الأهالي هناك (أبو سورة) ..

- وماذا كان رأي (جماعة بغداد) من العلماء المدعوين؟

- بعد مناقشات طويلة غلب عليها الشك، قررنا الذهاب إلى موقع القبر، فوجدناه قريبًا من تلال أثرية متفرقة، وصار القرار أن تشكل لجنة تبحث وتنقب حول حقيقة الأمر، وهل هذا القبر هو قبر المتنبي . بنفس الوقت أعلنا في الجرائد أنه يوجد هكذا موضوع نرجو ممن لديه معلومات عن هذا البحث أن يأتي إلى المتصرفية أو يبعث إلينا بما لديه وبدأت التقارير تتوارد من مختلف أنحاء البلاد وها هي مجموعة منها أمامك في هذه الإضبارة).

(٩)

كانت الإضبارة مليئة بالتقارير من باحثين هواة متحمسين ومتطوعين إضافة إلى تقارير ذوي الاختصاص الذين تناولوا الأمر بجدية كبيرة، وقد حرر الكثير منهم رسائل إلى صاحب المبادرة متصرف الكوت (= المحافظ) يحيون فيها همته ويشجعونه على المضي قدما في التحقيق عن قبر المتنبي، فهذا الدكتور عادل البكري، وهو الطبيب المقيم في الكوت والقريب من مواقع الأحداث، لم يكتف بالتنقيب بين صفحات الكتب والمصادر ولم يكتف بالجولة مع لجنة الخبراء، وإنما قام بجولات بحث فردية أخرى في المنطقة، ووصف القبر الذي تدور حوله الشبهات بما يأتي:

(... أما القبر الموجود حاليًا شمال مركز قضاء النعمانية والذي يقال عنه بأنه قبر المتنبي، فلا توجد أية كتابة أو علامة تؤيد ذلك .. وهو قبر يبلغ ارتفاعه حوالي نصف متر، مبني بالآجر وتقوم عليه قبة يبلغ ارتفاعها الأربعة أمتار تقريبًا متداعية البناء متشققة الجدران تكاد أن تنهار بين لحظة وأخرى، وكان البناء قد تم تجديده قبل ثلاثين سنة وهو الآن بحاجة إلى تجديد آخر.. وتقول عنه الأهالي إنه قبر (أبي سورة) ..

ويشجع الدكتور البكري تكوين اللجنة من ذوي الاختصاص، ويحث على أن تقوم بعملها وفق خطة علمية ومنهج له هدف محدد، وجدول زمني ..

ويحدد د. البكري مهمة اللجنة بالنقاط التالية:

١- المهمة الأولى هي إثبات أو نفي كون ذلك القبر شمالي النعمانية هو قبر المتنبي .

٢- إذا استطعنا إثبات أن القبر هو قبره فقد انتهت المشكلة وعلينا أن نشيد نصبًا لائقًا بشاعرنا الكبير.

٣- في حالة تعذر إثبات ذلك نظرًا إلى اتساع المنطقة وصعوبة اكتشاف قبر مدروس لا أثر له منذ مئات السنين – في هذه الحالة علينا أن نقيم نصبًا تذكاريًا للمتنبي في أي موقع من هذه المنطقة التي قتل فيها.

يبدو أن جميع الخبراء المدعوين إلى المشاركة في عملية التنقيب عن قبر المتنبي، كانوا قد تعاملوا بهذا الشكل أو ذلك الذي طرحه البكري مع إشكالية قبر المتنبي، وكأن دعوة محافظ (= متصرف) الكوت (= واسط) كانت الشرارة التي أوقدت نار حماسهم من جديد إلى أبحاث ودراسات سابقة كانوا قد قاموا بها تتعلق بالمتنبي واغتياله وقبره .

فقد وجه معظمهم رسائل تحدثوا فيها عن خبرة سابقة تتعلق بالقضية المطروحة، ونختار من تلك الرسائل مقتبسات من رسالة العلامة الكبير أحمد سوسة صاحب المؤلفات القيمة خاصة تلك المتعلقة بالري والمسح الإروائي للمنطقة، وبحوثه التاريخية؛ ومنها كتابه المهم المعروف (العرب واليهود في التاريخ) .

وبعد الديباجة والمقدمة في رسالته المؤرخة في ١٩٦٧/٥/٢٥ والتأييد الحماسي لعملية البحث عن قبر المتنبي، كتب سوسة في جوابه بخط يده (الموجود لدينا):

(.... يسرني أن أنقل إليكم الملاحظات التي كنت قد دونتها في كتابي { ري سامراء في عهد الخلافة العباسية } – الجزء

الثاني ص ٤٤٧ الحاشية – عن موضع قتل المتنبي: ... لقد أشار ياقوت الحموي إلى قرية باسم "بنورا" فذكر أنها تقع قرب النعمانية بين بغداد وواسط وبها مقتل المتنبي في بعض الروايات / وفي مقتل المتنبي عدة روايات:

الأولى: أنه كان في الجانب الغربي بالقرب من النعمانية (انظر كتاب الأنساب للسمعاني الورقة ٥٠٦).

والثانية: في الجانب الشرقي من دجلة بالقرب من "دير العاقول" و"الصافية" / والأرجح أن مقتله كان في الجانب الشرقي لأن الطريق العام بين بغداد وواسط كان يسلك هذا الجانب ..

وفي إحدى الروايات أنه قتل عند قرية "بيزغ" وهي التي وصفها ياقوت بقوله {إنها قرية بين دير العاقول وجُبل بها قتل أبو الطيب المتنبي / وقد جاء في ابن خلكان (ص ٣٧) أن مقتله كان عند قرية الصافية ...وقد كتب عن ذلك تفصيلا الأستاذ يعقوب سركيس في مجلة الاعتدال الصادرة في شهر آب عام ١٩٣٧ ص ١٨٥–١٩٧).

ويتحدث د. أحمد سوسة عن قبر المتنبي قائلا:

((... أما القبر الذي تفضلتم بالإشارة إليه في موضع يقع جنوب أطلال النعمانية القديمة بحوالي خمسة كيلومترات فلم يتيسر لي مشاهدته أثناء زيارتي للمنطقة قبل أكثر من عشرين عامًا، ولعله حديث الإنشاء أو حديث الترميم ..

فأقترح بهذه المناسبة أن تقوموا بتنظيم زيارة للمنطقة تدعون فيها الأساتذة من جامعة بغداد والمجمع العلمي ومديرية الآثار العامة وجمعية الكتاب والمؤلفين للاستئناس برأيهم في الموضوع ليحضروا إلى النعمانية فيقومون بزيارة القبر والتحري

عن تاريخ إنشائه..)).

ولم يختلف كثيرًا مضمون الرسالة التـــي وجهها بتـــاريخ ١٩٦٧/٤/٢١ العلامة الدكتور مصطفى جواد (لدينا نسختها بخط يده) حيث كتب يقول:

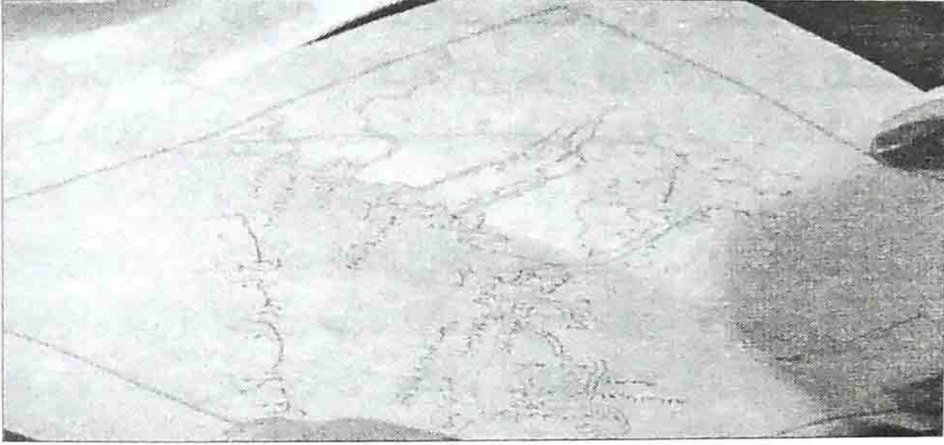
(... بلغتني نسخة من كتابكم بتاريخ ١٩٦٧/٤/٣ الخـــاص بالبحث عن قبر المتنبي والعزم على تخليد أثره بالإنشاء والبنـــاء، وقد اطلعت على فحوى كتابكم وما ورد فيه من ذكـــر النعمانيـــة القديمة وجُبل، وقيام أهل جبل بدفن المتنبي، واحتمـــال أن يكـــون موضع قتله غير موضع دفنه.. ووجود قبر قديم مشيد بالطـــابوق تعارف الناس على تسميته بقبر المتنبي شمال مركـــز النعمانيـــة، فأقول:

((... رابعًا: إن المتنبي قتل قبل أكثر من ألف سنة ولم يذكر أحد أن له قبرًا طول ذلك الألف من السنين، لا عراقي ولا عربي سائح ولا غربي سائح، لا عمدًا ولا استطرادًا...

خامسًا: ينبغي لسيادتكم التريث في هذا الأمر لكي نجمع لكم النصوص التاريخية.. ولكي نجتهد في تحديد الموقع الذي قتل فيه المتنبي.. ويقام له نصب تذكاري لا قبر..)).

(١٠)

تأملت هند كامل الوثائق أمامها، ثم عرضتها أمام كاميرا التلفزيون لتلتقط خارطة المنطقة التي كان فيها مقتل المتنبي وهي الأراضي الممتدة بين النعمانية ودير العاقول



وتظهر الخارطة أيضًا امتداد مجرى النهروان، وهناك أيضًا نهر دجلة، فيؤشر الرفيعي على نقطة هناك قائلا: هنا كانت تقع مدينة جبل – بضم الجيم وفتح الباء– آخر بلدة مكث فيها المتنبي ليلته الأخيرة..

ثم أشار إلى نقطة أخرى على الخارطة وقال: (هنا كان القبر المشكوك بأمره .. قبر يبلغ ارتفاعه نصف متر مبني بالآجر عليه قبة ارتفاعها أربعة أمتار تقريبًا، متداعية.. ولم يعرف عن صاحب القبر أنه من الأولياء.. كل ما يقال عنه أنه "أبو سورة" ولا يعلم من هو المقصود ...).

بعدها أخرج لنا الرفيعي صورة فوتوغرافية للقبر (انظر الصورة صفحة ٢٨) كما زاروه قبل حوالي نصف قرن وقال متذكرًا:

(... توجهنا فعلا إلى منطقة النعمانية، ووقفنا أمام القبر الطيني، وقد شعرنا بالرهبة والاحترام لمجرد شكنا بأنه من الممكن أن يكون هذا هو قبر المتنبي، وقد انقسمت الآراء إلى شطرين: هناك من يعتقد أنه قبر المتنبي وهناك من يشك في ذلك.. وعليه تقرر تشكيل لجان متخصصة.. واحدة من الآثار وأخرى من المجمع العلمي العراقي لدراسة الموضوع من جميع جوانبه.!)

بعد فترة كتب أحد أعضاء اللجنة وهو د. عادل البكري - وكان آنذاك مدير صحة الكوت - بأنهم لم يجدوا أية كتابة أو علامة تؤيد ذلك.. وقال: (...لم يتم حسم الشكوك ولم تصل اللجان إلى نتيجة راسخة؛ وبقي الموضوع معلقًا بالرغم من القناعة التامة بان مقتل المتنبي كان في تلك النواحي، ولكن القبر؟؟ ....!!).

وقد رأى العلامة د. مصطفى جواد أن يحسم الأمر بإجراء منطقي ذكره في رسالة بخط يده (موجودة لدينا) (.... حيث أن الجميع متفقون بأن اغتيال المتنبي قد تم في هذه النواحي لذلك أقترح أن يقام نصب تذكاري في الديار التي قتل فيها هذا الشاعر العظيم من المجد المخلد والفخر المجدد والذكرى الأبدية! ... نصب في المنطقة المتفق عليها التي اغتيل فيها وهو في طريقه من شيراز إلى بغداد أو إلى الكوفة، عائدًا من عضد الدولة فترصد له فاتك الأسدي وعصابته من قطاع الطرق وقضى عليه وعلى ابنه محسد وتابعه مفلح!!).

فاتك الأسدي

(١١)

المنطقة التي اغتيل فيها المتنبي .. عرفناها وتجولنا فيها

وقبلنا بعشرات السنين بحث الباحثون عن القبر ...

ولكننا كنا نريد أن نعرف أكثر من ذلك

لماذا اغتيل المتنبي ..وكيف؟

ألم يجد المتنبي أحدًا يدافع عنه ويحميه من شر فاتك الأسدي؟

ومن يكون فاتك الأسدي هذا....؟!

تؤكد جميع المصادر القديمة والحديثة على أن من ارتكب جريمة اغتيال المتنبي وابنه وغلامه.. رجل من بني أسد يدعى فاتك ابن أبي جهل بن فراس بن بداد.. نعرفه جميعًا باسم فاتك الأسدي..



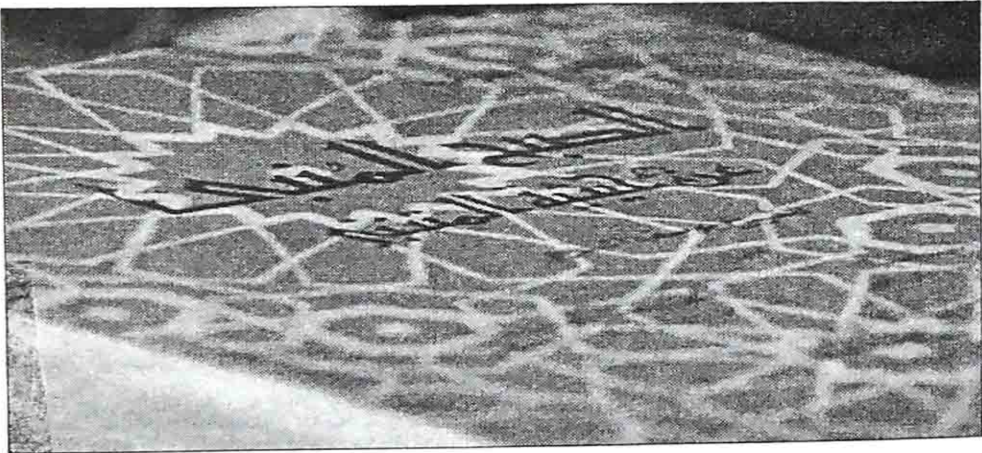
ويزعم البعض أن ذلك قد حدث بسبب قصيدة هجاء فاحشة قالها المتنبي في ذم أخت فاتك، أم ضبة العتبي والتي مطلعها:

ما انصف القوم ضبة   وأمه الطرطبة

(الطرطبة = المسترخية النهدين!)

وهي قصيدة من أولها إلى آخرها عبارة عن شتائم قبيحة وبلغة فاسدة هي ليست من أسلوب المتنبي؛ كما يؤكد معظم الباحثين والمحللين، وبعضهم يؤكد أنها من شعر المتنبي، قالها بمناسبة طريفة سنسردها فيما بعد!

ولكن قبل سرد قصة القصيدة لنتعرف على مضمونها وما ورد فيها من شتائم نقلا عن كتاب (الصبح المنبي عن حيثية المتنبي) للشيخ يوسف البديعي المتوفى سنة ١٠٧٣ للهجرة:



وقد ذكر القصيدة كاملة مع ما فيها من أبيات فحش فاضح من باب الأمانة الأدبية والتاريخية، كما فعل من قبله **الثعالبي**

صاحب الكتاب الموسوعي "يتيمة الدهر" فيقول في ص ٢٧٣ من جـ١ من "يتيمة الدهر" في معرض نقله لشعر فيه مجون للشاعر الشامي أبي الرقعمق:

(... أشار علينا بعض الأدباء ببتر أمثال هذه القطع التي يجيء فيها فحش ومجون لأنه خروج عن الأدب ومفسدة للأخلاق، وقد اختلفت آراء العلماء في مثل هذا، ولكننا نرى أن علم الأدب غير علم الأخلاق).

وهكذا لم يجد الثعالبي حرجًا في نشر الشعر كاملا في "يتيمة الدهر" الكتاب الفاخر الذي يتحدث فيه عن أدباء عصره.إن الأدب يتناول العواطف الإنسانية عامة لا يفرق بين شريفها وخسيسها فلا حرج عليه إذا عرض لهذه العاطفة أو تلك يصورها.... وكذلك فعل البديعي فلم يحذف الكلمات الصريحة من القصيدة، ولا نجد – من هذا المدخل – حرجًا، للأمانة التاريخية، في نشر القصيدة كاملة لأهميتها في حياة المتنبي، بل لنقل في إنهاء حياة المتنبي!

يقول المتنبي في ذم أخت فاتك الأسدي أم ضبة:

ما أنصفَ القومُ ضبهْ ... وأمه الطُّرطُبَّه
وإنما قلتُ ما قلـ ... ـتُ رحمةً لا محبهْ
وما عليك من القتـ ... ـل إنما هي ضربهْ
وما عليك من العا ... ر أن أمك قحبه
وما يشق على الكلـ ... ـب أن يكون ابنَ كلبهْ
ما ضرها من أتاها ... وإنما ضر صلبه
ولم ينكها ولكن ... عجانها ناك زبه
يا أطيب الناس نفسًا ... وألين الناس ركبه

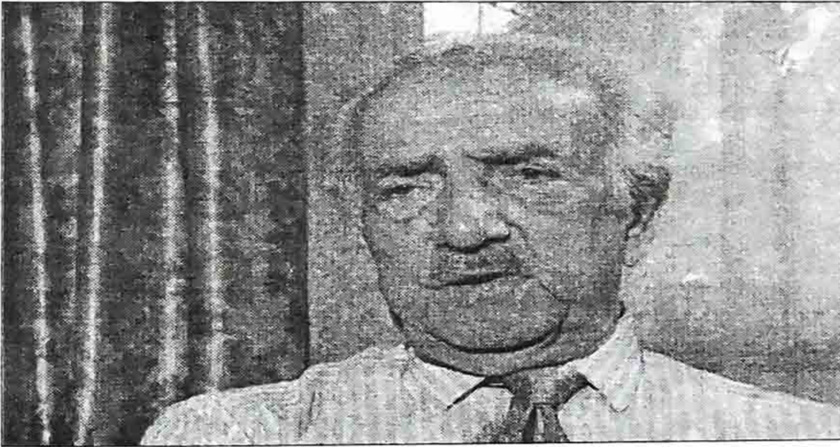
وأرخـــص النـــاس أمّـــا تبيـــــع ألفـــاً بحبـــه
كـــل الأيـــور ســـهام بأمــــه وهـــى جعبـــه
وما علـــى مـــن بـــه الـــدا ء مـــن لقـــاء الأطبـــه

يقال إن هذه القصيدة دست إلى فاتك الأسدي؛ قالوا لـــه: إن المتنبي نظم قصيدة هجاء فاحش في أخته أم ضبه؛ فلمـــا ســـمعها فاتك داخلته الحمية، وقرر الانتقام من المتنبي، فترصَّده في طريق عودته من بلاد فارس وهو يحمل معه عطايا عضد الدولـــة، بـــل يحمل معه كل ما يملك؛ حيث تؤكد أغلب المصادر أن المتنبي كان يحمل معه حيثما رحل ما يملك من مال ومتاع وكتب!

(١٢)

إن صح الادعاء بأن قصيدة الطرطبة هي سبب قتل المتنبي وابنه ومرافقه، يكون المتنبي قد قتل بسبب أقبح ما نظم من شعر!

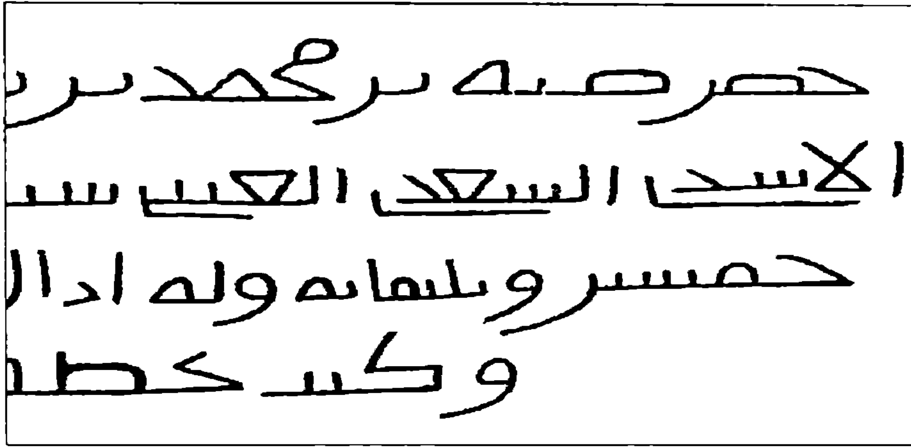
فما للمتنبي – كما يقول الباحثون – أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلامًا ومع ذلك كان مع ركاكته وسخافته سبب قتله / كما يقول الشيخ المؤرخ يوسف البديعي في كتابه (الصبح المنبي عن حيثية المتنبي) فهو ليس من طراز شعر المتنبي فحولة وجزالة، وإذا كان المتنبي قد قال هذا الشعر فعلا فلعله قاله سخرية لأنه لم ير المقام يستحق شعرًا أرقى وأجود!!



ويؤكد الباحث التاريخي والآثاري سالم الألوسي أن المتنبي قد نظم هذه الأبيات فعلا في أم ضبة لسبب سيرد ذكره بعد قليل، ويسرد الألوسي على مسامعنا في لقاء تلفزيوني خاص بمنزله بحي الداودي في بغداد التفاصيل مشيرًا في البداية إلى أن ضبة شخصية

حقيقية واسمه ضبة بن محمد بن يزيد العيني (نسبة إلى بلدة عين تمر الواقعة جنوب غرب كربلاء) ...

ويرينا الألوسي صورة لكتابة قديمة على حجر عثروا عليه في وديان البادية العراقية باتجاه السعودية، ويبرز واضحًا بين الأسطر المكتوبة على الحجر اسم ضبة بن محمد..

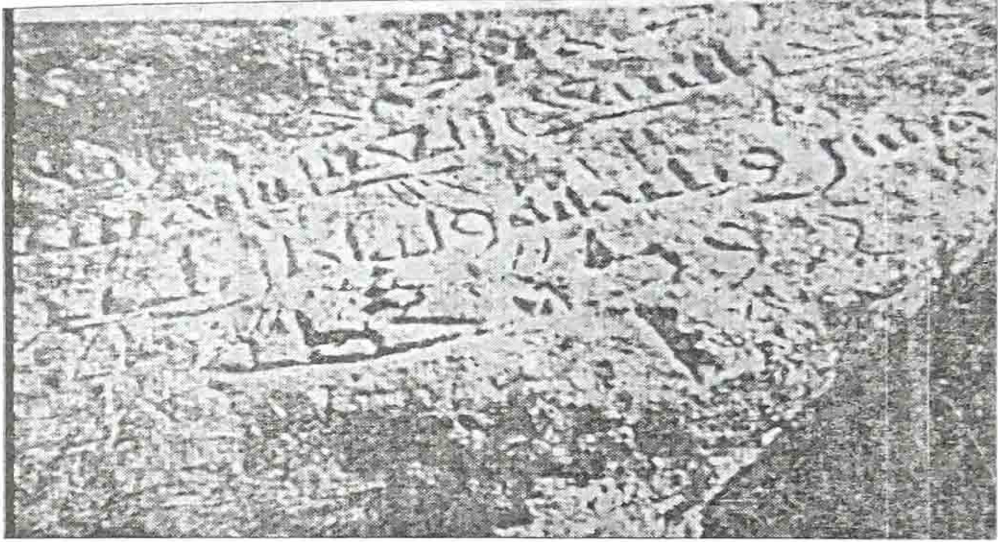


ويضيف الألوسي:(.... في عام ١٩٤٦ نشر المرحوم العلامة مصطفى جواد بحثًا مطولا عن كتابة وجدوها في "حفنة الأبيض" وهو وادي يربط جنوب كربلاء بالحدود السعودية وفي مدخل هذا الوادي مرتفع صخري عليه كتابات من أزمان مختلفة؛ من بينها نصان يذكران اسم شخص ورد ذكره في التواريخ باسم: ضبة بن محمد بن يزيد العيني ...).

كانت لدى الألوسي صور توثيقية عرضها علينا لنصورها قبل أن يستمر قائلا:

(... بعد عشر سنوات جاء أحد أفراد عشيرة عنزة التي تقطن في المنطقة الغربية من العراق، باتجاه الحدود السعودية؛ وأخبر إدارة الآثار بوجود كتابة أخرى في نفس المنطقة، فذهب

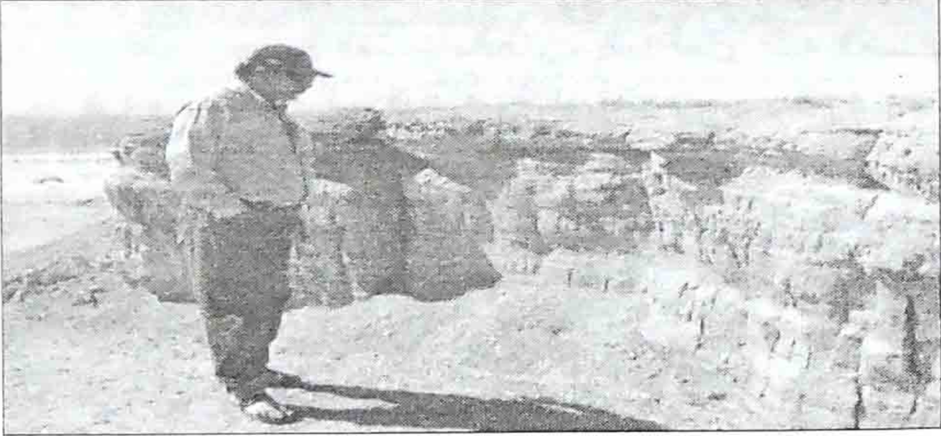
فريق من المختبر الفني في المتحف العراقي وصنع قالبًا من الجبس عن الكتابة المنقوشة على الصخر في بطن الوادي.!! هذه صورتها:



(١٣)

يقول الباحث التاريخي الأستاذ الألوسي وهو يرينا عددًا من مجلة سومر يعود إلى عام ١٩٥٥: (نشر نص تلك الكتابة الأستاذ عز الدين الصندوق في المجلد ١١ من مجلة سومر لعام ١٩٥٥ وقد عقب عليه الدكتور مصطفى جواد في العدد ١٢ لعام ١٩٥٦ من مجلة سومر شارحًا الأسماء التي ظهرت على ذلك الحجر!).

ويضيف الألوسي قائلا: (. لقد شاهدت أنا شخصيًا تلك الكتابة عام ١٩٥٦ في موضعها، حيث كنا نعمل في تنقيبات الكوفة؛ وتوجهنا إلى ذلك الوادي فرأينا الكتابة، وهي بالخط الكوفي الجميل، ولها أهمية من ناحية تطور الخط الكوفي وجماليات الخط العربي.



سألت هند كامل التي كانت متشوقة إلى معرفة قتلة المتنبي، فاتك وابن أخته ضبة: ومن يكون ضبة كي يتم نقش اسمه على أحجار الوادي؟!

يجيب الأستاذ الألوسي: (يظهر من التحقيق الذي نشره د. مصطفى جواد عام ١٩٥٦ أن ضبة هذا كان شريرًا سفاكًا للدماء يغدر بالضيوف ويدير عصابة قطاع طرق تسرق القوافل ويقوم بأعمال منكرة، حتى إنه هجم على مرقد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب في كربلاء.. فلما اشتد أذاه اضطرت الدولة العباسية إلى إرسال جيش ناحية قصر الأخيضر لمقاتلة ضبة وعصبته عام ٣٦٩ للهجرة (بعد مقتل المتنبي بـ ١٥ سنة) فهرب ضبة بن يزيد العيني ولكن الجيش أسر عائلته وعددًا من جماعته.

وقد ذكر هذه الحادثة بالتفصيل والوقائع عدد من المؤرخين منهم عز الدين بن الأثير في "**الكامل في التاريخ**" وابن الجوزي في كتابه "**المنتظم**" وقد جاء في كتاب "**تجارب الأمم**" لأبي علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه:

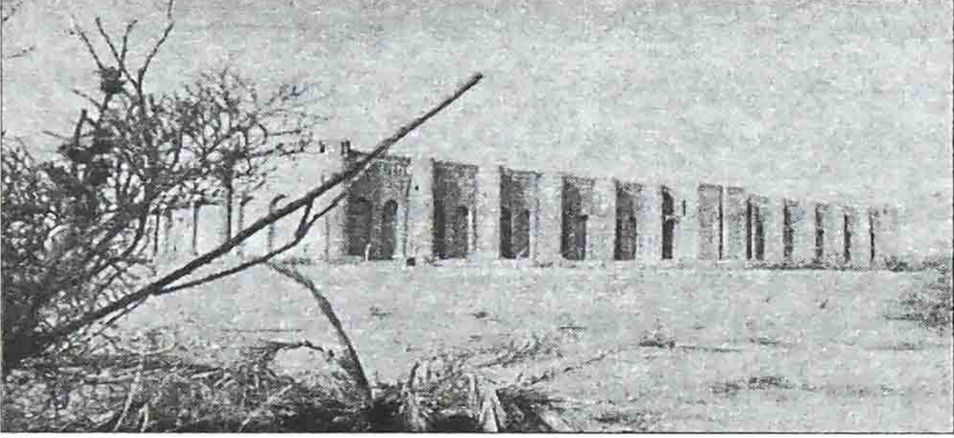
(.. وفي هذه السنة - ٣٦٩ هجرية - نفذ عسكر إلى عين تمر في طلب ضبة بن محمد الأسدي وهو ممن يسلك سبيل الدعارة ويسفك الدماء ويخيف السبل وينهب القرى ويبيح الأموال والفروج، وانتهك حرمة المشهد بالحائر، فلما أطل عليه العسكر المجرد؛ هرب بحاشيته إلى البادية وأسلم أهله وحرمه، فحصل أكثرهم في الأسر..) (جـ ٢ ص ٤١٤).

ما الذي دفع المتنبي إلى قول قصيدة الهجاء الفاحشة تلك برجل شرير هو ضبة بن محمد؟ تلك القصيدة التي كانت أحد أسباب اغتياله؟

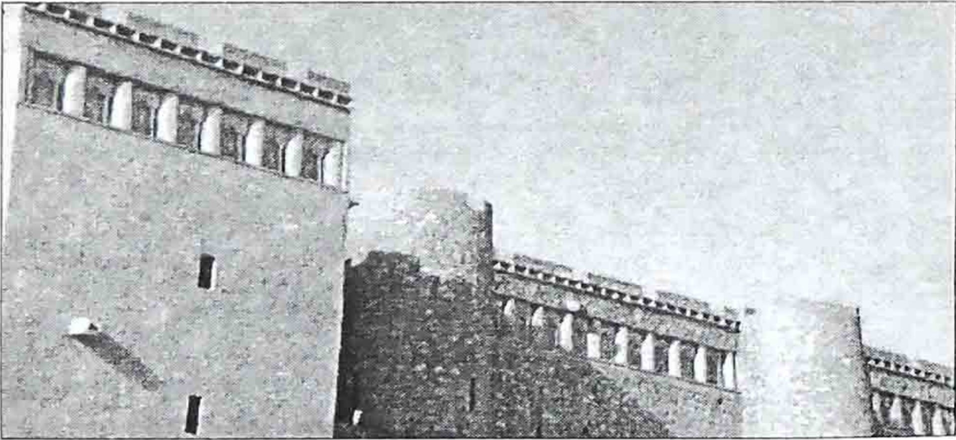
يروي الباحث التاريخي الألوسي قائلا:

(... في عام ٣٥٣ كان المتنبي في زيارة لبعض أصحابه في البادية بين كربلاء والكوفة، فوجد القوم يتهيئون لقتال رجل شرير فاسق يلوذ مع عصابته في حصن عظيم هناك بالقرب من عين تمر..

ومن الناحية الطبوغرافية و الآثارية لا بد وأن يكون ذلك الحصن هو قصر الأخيضر الحالي، فلا يوجد حصن عظيم غيره في المنطقة.. وتشير كتب التاريخ إلى أن ضبة وجماعته كانوا يلوذون دائمًا بذلك الحصن:



وقد عرض القوم على المتنبي مشاركتهم في تلك الحملة التأديبية ضد عصابة ضبة، فاستجاب المتنبي وذهب معهم ليحاصروا الحصن ومن فيه، وكعادة جماعة ضبة لاذوا باللجوء إلى داخل الحصن والتحصن داخله؛ حيث تجمعوا في الطابق العلوي وصاروا يرمون الحجارة من النوافذ الضيقة على المهاجمين!!



وعندما عرف ضبة أن بين المهاجمين المتنبي صار يسبه بأقذع الكلمات ويشتمه بفاحش الكلام.. ويرمي عليه الأحجار من سطح الحصن ..ويسخر منه ومن شعره!!

فطلب الجمع من المتنبي أن يرد عليه فامتنع المتنبي، وقال: من هو حتى أخصه بقصيدة من شعري وعلية القوم يتمنون أن أقول فيهم الشعر حتى وإن كان هجاء، وهذا الوزير المهلبي قد مات وفي نفسه حسرة أن أقول شعرًا فيه!!

ويبدو أن المتنبي تحت إلحاح الآخرين وافق على أن يقول تلك الأبيات الساخرة من باب المزاح والاستصغار لضبة، فارتجل تلك الأرجوزة التي مطلعها:

ما أنصف القوم ضبه　　　وأمه الطرطبه

وقد ظهر عن ذلك بحث مفصل قبل خمسين سنة في مجلة (سومر) الآثارية – التاريخية التي احتوت أعدادها على بحوث قيمة مرجعية:



هل كان حصن الاخيضر سببا في قتل المتنبي؟

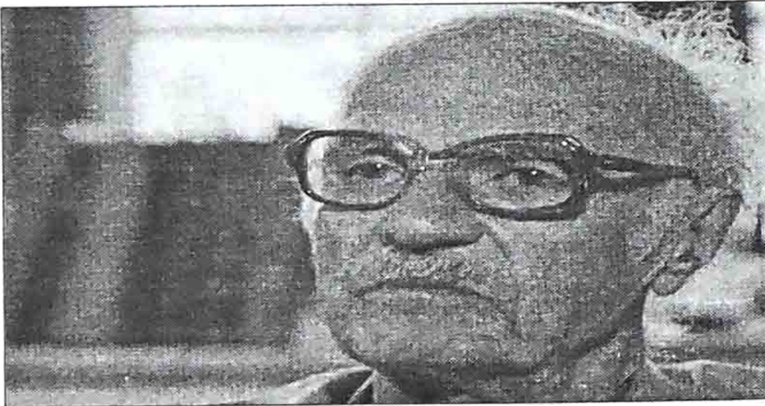
المتنبي يسترد أباه

(١٥)

الأستاذ عبد الغني الملاح، مؤلف الكتاب المثير للجدل (المتنبي يسترد أباه) يعتقد أن تلك القصيدة مدسوسة على المتنبي من خصومه..واستنادًا إلى هذه النظرية يكون فاتك الأسدي قد حركه خصوم المتنبي بهذه القصيدة المزعومة لقتله.. فمن هم خصوم المتنبي؟

بعض المصادر تتهم الوزير المهلبي بالتحريض على قتل المتنبي لأنه رفض أن يمدح المهلبي عند زيارة المتنبي لبغداد عام٣٥١...

الملاح يرفض هذه الرواية أيضًا، يرفضها تاريخيًا ومنطقيًا لأن المهلبي – وكان كارهًا فعلا للمتنبي لأنه رفض مدحه – قد توفي سنة ٣٥٢ والمتنبي قتل سنة ٣٥٤ هجرية فليس من المعقول أن يظهر المهلبي من قبره ويحرض على قتل المتنبي..



الباحث التاريخي الأستاذ عبدالغني الملاح المتخصص في دراساته عن المتنبي ينفي إذن أن تكون عملية الاغتيال قد تمت بسبب انتقام شخصي ويعزوها إلى عملية سطو قطاع طرق على قافلة المتنبي العائد من شيراز محملا بالعطايا من ابن العميد وعضد الدولة..

و الملاح هو صاحب نظرية جريئة يطرحها في كتابه(المتنبي يسترد أباه).. ومفاد نظرية الملاح التي ثبتها في كتاب أعيد طبعه أكثر من مرة: (...أن المتنبي الذي ولد في الكوفة عام ٣٠٣ للهجرة هو من أسرة كريمة.. ومن أب جليل هو ليس أقل من آخر الأئمة الاثني عشر، الإمام المهدي المنتظر..)

و الملاح ليس هو أول من طرح هذه الفرضية؛ فقد سبقه باحثون قدامى وحديثون منهم الباحث المصري الجليل محمود محمد شاكر الذي نشر في الثلاثينيات من القرن الماضي دراسة مطولة عن المتنبي لعلها من أهم ما كتب عنه في العصور الحديثة؛ فقد كتب في مجلة المقتطف عدد يناير من عام ١٩٣٦:

(... ووجه القضية عندنا هو هذا: تزوج رجل من العلويين – ولا جرم أن يكون من كبارهم – بنت جدة المتنبي، فحملت ووضعت الطفل أحمد، ولأمر ما أريد لهذا الرجل المهم طلاق امرأته، وفراقها؛ ففارقها، وطلقها فعادت إلى أمها بطفلها وحزنت حزنا أهلكها فاستلها الموت وذهب بها وبقي الطفل فكفلته جدته وأخذ الوليد اسم الجد فصار أحمد بن الحسين، وعندما كبر الصبي صرحت له جدته بحقيقة أمره وصحيح نسبه، وحذرت الفتى من عواقب التصريح بنسبه حتى كان من أمر ادعائه العلوية في الشام فقبض عليه فاضطر إلى الإخلاد والتسليم..).

أما إبراهيم العريض الذي اهتم بكشف النقاب عـن نسـب المتنبي أيضًا فانه يؤكد أن الحسين هذا الذي يذكر كأب للمتنبي هو جده لا أبوه؛ جده لأمه، وهو حسين الجعفي، الذي تولى رعايتـه تحت وصاية جدته – وينقل العريض تفسير عمر فروخ للوصـف الذي كان يطلق على جد المتنبي بجملة (عيدان السـقاء) لنحافـة أطرافه، وينقل عن القاموس المحيط للفيروزاباذي أن هـذا كـان وصفًا لوالد (جد) المتنبي لا اسمًا له!!

ولكن بعض المغرضين من خصـوم المتنبـي – ومـنهم الاصفهاني صاحب الأغاني – زعموا أن أباه هو عبدان (بعـد أن حولوا الياء إلى باء) وجعلوا مهنة الأب سـقاء!! وإذا بالوصـف بالنحافة (كأن أطرافه عيدان السقاء) يتحول إلى اسم ولقب!!

(١٦)

ركز عبد الغني الملاح دراسته على نقطة واحدة محورية أساسية وهي إثبات نسب المتنبي، وقد سألنا الملاح عن ذلك قبل وفاته بأسابيع معدودة، فأجابنا أمام كاميرا التلفزيون:

(... في اجتهادي ولو ربما مرفوض عقائديًا أنه ابن الإمام المنتظر الإمام صاحب الزمان هذا ما ذكرته في كتابي؛ وقد توصلت إلى أن الإمام المنتظر ولد في سامراء ٢٥٥ - وعندما ولد المتنبي سنة ٣٠٣ كان الإمام كما تقول العقائد في الغيبة الصغرى وعمره ٤٨ سنة..(!!) والأدلة على صحة اجتهادي مؤكدة في كتابي المطبوع طبعتين..).



وقد كتب الناقد والباحث الأدبي والمفكر الكبير أ. د. صلاح خالص - أستاذ الأدب في جامعة بغداد آنذاك - في مقدمة كتاب الملاح عن نسب المتنبي يقول:

(... أسدل ستار كثيف على نسب المتنبي وعلى والده..

وكأن إرادة خاصة قد تعمدت ذلك وسعت إليه، بل وحرصت كل الحرص على أن تبقيه مسدلا لا ينفذ منه ضوء ... وقد أسهم المتنبي إلى حد كبير في هذا التآمر على نسبه، رغم أنه كان يضيق أحيانا فتفلت منه الكلمة أو البيت ليثقبا هذا الستار.. وهو قد يشير إلى آبائه وجدوده فيقول:

وبهم فخر كل من نطق الضا ... د وعوذ الجاني وغوث الطريد

أو حين يقول مخاطبًا جدته وهي الشخصية الوحيدة المعروفة من أسرته:

ولو لم تكوني بنت أكرم والد ... لكان أباك الضخم كونك لي أما

أو حين يفتخر أمام مجلس سيف الدولة:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا ... بأنني خيرِ من تسعى به قدم

لقد أخذ الأستاذ عبد الغني الملاح على عاتقه مهمة عسيرة وشاقة وهي إزاحة الستار الكثيف عن والد المتنبي وكشف طبيعة المؤامرة على نسبه بعد ألف عام من وفاة المتنبي ...).

ويضيف د. خالص في ختام تعقيبه:

(...استند الباحث الملاح إلى وسائله البحثية الذكية، فتوصل إلى نظريته وهي أن المتنبي هو ابن محمد المهدي الإمام الثاني

عشر، وقد حرص ذوو المتنبي المشرفون على نشأته كما حرص المتنبي نفسه على كتمان نسبه تحت ضغط الظروف التاريخية التي أحاطت به ...).

ويرجو منا صلاح خالص ألا نتعجل في الحكم على هذا الرأي أو هذه النظرية قبل قراءة الكتاب!! وهذا ما فعلناه نحن؛ وقد بدا لنا الكتاب – بعد قراءته بإمعان – مقنعًا ومنطقيًا .. وإن أبدى بعضنا شيئًا من التحفظ على ما ورد فيه من نتيجة حول نسب المتنبي المحتمل!!!

إن شاعرًا بعظمة المتنبي وكبريائه وطموحاته اللامحدودة لا يمكن أن يعيش حياته لا يعرف اسم أبيه الحقيقي أو نسبه، وليس هو بالشخص المغمور الذي من الممكن أن يهمل اسم أبيه ولا يستقصي خبره، ولم تذكر لنا المصادر عن المتنبي أنه كان يتحدث عن أبيه أو ذكر اسمه أو لقبه، أو أنه انتسب إليه في مجالس الملوك والأمراء والسلاطين..

فما الذي منع المتنبي من الحديث عن نسبه؟ أو التحري عن نسبه؟ أهناك سر؟ أكان المتنبي يعلم بان اسم أبيه لا يمكن ان يذكر دون رد فعل متوقع؟!

أكان يتحدث عن نفسه عندما قال وهو بعد في شبابه:

لم أعرف الخير إلا مذ عرفت فتى

لم يولد الجود إلا عند مولده

أكان مدركًا لنسبه عندما قال وهو يمدح أبا العشائر:

أنا ابن من بعضه يفوق أبا الباحث والنجل بعض من نجله

وعندما سألوه: من أنت؟ كان جوابه:

يقولون لي من أنت في كل بلدة
وما تبتغي ما أبتغي جل أن يُسْمَى

هذا الجواب المقتضب، هذا الجواب الذي فيه ما فيه من تهرب عن الإجابة الصريحة فيما يخص أباه ونسبه، ألا يدل على أمر جليل ينبغي كتمانه خشية ملاحقة السلاطين والحكام الذين سيطر عليهم (الغرباء) البويهيون في مطلع القرن الهجري الرابع؟

وقد عبر المتنبي عن رفضه لتولي ملوك من غير العرب ضمن قصيدة قالها عام ٣٢٧ وعمره ٢٤ سنة:

وإنما الناس بالملوك وما يفلح عرب ملوكهم عجمُ

(١٧)

بالرغم من أن هدفنا في مشروعنا هذا هو اقتفاء أثر المتنبي في الساعات الأخيرة من حياته، والتعرف على موقع قتله وموقع قبره؛ إلا أن اقتفاء أثر نسبه يبدو مغريًا أيضًا.. ويغوينا باستكمال اقتفاء نسب المتنبي..

سنقتبس من كتاب الملاح (المتنبي يسترد أباه) التسلسل السردي (المفترض) لملابسات ولادة المتنبي فيما إذا صحت تلك الفرضية..

الزمن: بداية القرن الهجري الرابع..

المكان: الكوفة، أو سواها..

الوقائع (المفترضة): رجل من كبار العلويين (لعله شيخهم أو إمامهم) / يتزوج بمعزل من الاحتفالات لوجوب أو ضرورة؛ يتزوج سرًا من فتاة من أهل الكوفة، ولأسباب سياسية ينبغي كتمان أمر وجوده في الكوفة / الفتاة تنجب الولد أحمد عام ٣٠٣ للهجرة!

يشعر أصحاب الوالد أو أصحاب قضية الوالد بحراجة موقفهم تجاه جوهر قضيتهم فأبعدوا الأم وطفلها عن الأب بحرمانها من رؤية الأب المتخفي من أجل القضية، فالأب "غائب" عن رؤية الناس بما فيهم الأم وابنها ولا أحد يعرف أين يستقر به المقام / ليعود يومًا ما يملأ الأرض عدلاً.

وليس بمستبعد عن أصحاب " قضية سرية – مصيرية "أن ينذروا أم الطفل ألا تبوح بسر والد طفلها أو علاقته بها!! فماتت كمدًا من الحزن وتركت طفلها الرضيع عند أمها(جدته التي ذكرها

المتنبي في شعره أكثر من مرة) وجده الشيخ (الذي هـو حسين الجعفي الذي ربما قال له ولغيره أنه أبوه وكـان الجـد نحيـف الأطراف تشبه عيدان السقا التي يحمل بها جرار الماء فوصـفوه بعيدان السقا وصارت لقبًا له، فتوهم بعض الكتاب أن أبا المتنبـي اسمه عيدان وهو سقا، وقد وقع الكثيرون في هذا الوهم)..

ولما مات الجد – الأب، كفلته جدته الصالحة الطيبة، وكانت تعرف نسبه وأصله فتشبثت حتى أدخلته مدارس أبنـاء أشـراف العلويين، (وها هو الأصفهاني – المعاصر للمتنبي – يعترف بأن المتنبي كان قد دخل في مدارس أبناء العلويين في الكوفة، وهـل يدخل في مثل تلك المدارس من كان ابن سقاء؟).

بقي المتنبي في تلك المدارس حتى عام ٣١٧ وكانت الفترة فترة اضطرابات وأحداث سياسية قلقة وحركات سـرية متعـددة تتشابك فيها الشعارات المذهبية، وقد سمع المتنبـي وهـو ابـن العاشرة بما قام به الخليفة المقتدر من هدم جامع براثا في بغـداد لاعتقاده أنه أصبح مقرّا للطالبيين من الملتفين حول الإمام محمـد المهدي بن الحسن العسكري!!

وكان المتنبي يعرف أن الأمر له علاقة بأسرته وآبائه، فقد كانت جدته قد أعلمته الحقيقة وطلبت منه كتمان السر مؤكدة لـه خطورة البوح بحقيقة الأمر!

ولكن المتنبي؛ بالرغم من ضغوطات جدتـه بـدافع مـن حرصها عليه لم يستطع إلا أن يتمرد مؤكدًا رجولته، فترك الكوفة إلى بغداد لتبدأ رحلة الحياة المتلاطمة!

القرن الرابع الهجري.. عصر المتنبي

(١٨)

كان القرن الرابع الهجري عصر المتناقضات والمتضادات، ففي الوقت الذي عرف فيه الفكر العربي والإسلامي الأسماء اللامعة في الشعر والعلم والفكر والدراسات التاريخية والتأليف الموسوعي والمعرفي الكبير، عرف هذا القرن التمزق السياسي والسلطوي الذي أصاب الدولة الإسلامية وتوزيعها إلى دويلات ليس للخليفة في بغداد عليها سوى سلطة معنوية تتمثل في أن يذكر بعض الولاة والسلاطين اسمه في خطبة الجمعة في المساجد!!

وإلى جانب التمزق السياسي بلغ التمزق الطائفي حدًا دمويًا وجرى استغلال الدين أبشع استغلال لتأييد هذا السلطان أو معارضته!!

فكثرت صناعة الحديث وصناعة الروايات المكذوبة وتخاصم الناس حول تلك الروايات المختلقة أصلا أو المحرفة!! وتعصب الناس لطوائفهم، وأهينت كرامة الإنسان لأتفه الأسباب، فقط لكونه من الجانب الآخر، مما جعل عقلاء الناس يلوذون بالستر والعزلة، أو يمكثون في بيوتهم وقد لا يتصلون بأحد كيلا ينقل عن لسانهم ما يغضب العامة قبل الخاصة، لذلك كان العلماء والفقهاء يختفون عن الأنظار حفظًا لأرواحهم وصيانة لكرامتهم؛ وقد يغيبون عن الأعين، أو ينتحلون أسماء مستعارة!!

وكان الإمام محمد المهدي أبرز الغائبين لقيادة قضية سرية تطمح لإشاعة العدل بعد أن عم الجور وكثرت الفتن وتمزقت الدولة الإسلامية وسيطر الغرباء من جند وقواد ومماليك الذين قربهم من قبل بعض الخلفاء العباسيين!!

ومن المعروف أن الإمام محمدًا المهدي ولد في سامراء عام ٢٥٦ للهجرة، في نفس السنة التي قتل فيها الخليفة المعتز بالله، وهو آخر خليفة عباسي جلس متصدرًا ديوان المظالم حيث كان يمارس الخليفة القضاء بين الناس في منازعاتهم الزمنية والدينية!!

وبعد ذلك التاريخ سيطر القواد والجنود على معظم شئون الدولة، وفي تلك الفترة كانت ثورة الزنج في البصرة التي قامت لأسباب اجتماعية اقتصادية كما يؤكد الباحثون، والتي قمعها بقسوة بالغة الخليفة الموفق .

وحيث أن ثورة الزنج كانت تتعاطف مع الطالبيين؛ لذلك اظهر الخليفة الحقد عليهم ، مما دفع إمامهم محمدًا المهدي إلى (الغيبة) وعمره خمس سنوات!!

وعندما عادت العاصمة من سامراء إلى بغداد، وتولى الخلافة المعتضد بعد أن مات المعتمد مسمومًا عام ٢٧٩، بقي الإمام المهدي – الشاب – متسترًا حتى في تنقلاته بين الأمصار والبلدان خوفًا على حياته من أعين الرقباء والمخبرين الذين زرعهم أعداء المذهب الذي كان يؤمن به، فكان الإمام المهدي يتصل بأصحابه عن طريق الوكلاء الأربعة الذين تعاقبوا الوكالة طوال فترة (الغيبة الصغرى) التي دامت ٦٩ سنة!!

لو صحت فرضية الملاح وشاكر والعريض يكون الإمام محمد المهدي قد تزوج سرًا في الكوفة عام ٣٠١ أو ٣٠٢ هـ في

زمن الوكيل الثاني أبي جعفر بن عثمان الأسـدي، وأنجبـت لـه زوجته عام ٣٠٣ الصبي أحمد الذي عرف فيما بعد باسـم أبـي الطيب المتنبي!!

إن التسلسل الدرامي يغرينا بالتواصل مع الأحـداث التـي رافقت حياة المتنبي، وسعيه الدءوب والملحاح إلى الرئاسة، فقـد كان كما يذكر الشاعر معروف الرصافي فـي كتابـه المقتضـب (نظرة إجمالية في حياة المتنبي):

(... كان زمن المتنبي زمن التغلب بـالقوة..(..).. وكـان المتنبي قد فطر على جانب عظيم من الذكاء والفطنة وأوتي مـن طلاقة اللسان وفصاحة البيان.. وقد تولد لديه طموح إلى الرئاسـة والمناصب العالية منذ نعومة أظافره ...(..) ويجـد نفسـه أحـق بالرئاسة من الأمراء والملوك ..

وكان المتنبي يشعر بأنه مدعو إلى الثـورة والقيـام علـى الحكام فقد قال في شبابه:

محـبي قيـامي مـا لـذْلكم النصـل
برئيًا من الجرحى سـليمًا مـن القتـل
أمـط عنـك تشـبيهي بمـا وكأنـه
فما أحـد فـوقي ولا أحـد مثلـي

من هم محبو قيام المتنبي؟ أكان يعرف لمن ينتمي؟ وما هو المطلوب منه؟ أليس هو القائل:

عش عزيزًا آو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنـود

وهو القائل:

من لو رآني مــاءً مــات مــن ظمــأ
ولو عَرَضــتُ لــه في النــوم لم يــنم
ميعاد كــل رفيــق الشــفرتين غــدًا
ومن عصى من ملوك العرب والعجــم

أكان المتنبي يقظًا يعرف حق المعرفة من هو ولمن ينتمي؟
أكان يعرف ذلك عندما قال في مجلس سيف الدولة:

سيعلم الجمــع ممــن ضــم مجلســنا
بأنني خير مــن تســعى بــه قــدم ..

ما سبب هذا التعالي؛ هذا التحدي؟! ومع هذا كان المتنبي يتجنب ذكر نسبه وانتمائه حتى عندما يسأل عنه لأنه يعرف الخطر الذي قد يهدده عندما يعرف الآخرون نسبه..

وها هو القاضي علي بن المحسن التنوخي الذي التقى المتنبي في آخر أيامه يكتب تحت العنوان الصريح (**الشاعر المتنبي لا يفصح عن نسبه**) في الفقرة ١٢٠ في الجزء الرابع من كتابه الممتع (**نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**) فيقول:

(التقيت المتنبي وهو عائد من شيراز في سفرته الأخيرة قبل مقتله وسألته عن نسبه فما اعترف لي به.. وكان جواب المتنبي (... أنا رجل أخبط القبائل وأطوي البوادي وحدي؛ ومتى انتسبت؛

لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينهم وبين القبيلة التي أنتسب إليها..وما دمت غير منتسب لأحد فأنا أسلم من جميعهم!).

وبالرغم من حذر المتنبي هذا لم يسلم ممن كانوا يكيدون له / فتعرض للدسائس والمؤامرات.. وتعرض لثلاث محاولات اغتيال سابقة ... ما يعنينا منها آخرها، وهي تلك التي حدثت في الطريق المار بين النعمانية ودير العاقول وهو عائد من شيراز في رمضان عام ٣٥٤ للهجرة بعد أن قضى أسابيع في زيارة عضد الدولة الذي مدحه المتنبي بقصيدة فيها بيت هو أقرب إلى النبوءة:

وأنى شئت يا طرقي فكوني أذاة أو نجاةً أو هلاكا

نجاة أو هلاكًا..!!

أهي صدفة أن يتحدث المتنبي عن النجاة والهلاك في آخر شعر يقوله؟ أهي نبوءة .. هاجس ...؟

أكان يحس بأن خطرًا يهدده.. ينتظره في طريق العودة..؟ أهذا ما دفعه إلى أن يغير طريقه ويعبر دجلة عند واسط متوجهًا إلى الكوفة بدلا من بغداد.. فينتظره الموت في دير العاقول؟ ليصدق قوله: وأنى شئت يا طرقي فكوني ...... هلاكًا!!!!



(١٩)

من ضمن الأوراق التي وصلتنا بخط يد د. أحمد سوسة والمتعلقة بموضوع مقتل المتنبي ورقة منقولة عن كتابه (ري سامراء في عهد الخلافة العباسية) متعلقة بمدينة جبل فيقول:

((كانت على الضفة الشرقية من دجلة، على بعد خمسة فراسخ من النعمانية جنوبًا مدينة تدعى جَبُل (بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها) ذكرها ياقوت "إنها بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي؛ وكانت مدينة أما الآن فاني رأيتها مرارًا وهي قرية كبيرة، وإياها عنى البحتري بقوله:

حنانيك عن هول البطائح سائرًا
على خطر والريح هول دبورها
لئن أوحشتني جبل و خصاصها
لما آنستني واسط وقصورها

أما موضع جبل الآن فقد ثبت أن أنقاض هذه المدينة أصبحت في وسط نهر دجلة مقابل قرية "أم البني" الحالية نتيجة التآكل الحاصل في ضفة النهر، ويعرف هذا الموضع اليوم باسم جنبل (بإدخال النون بين الجيم والباء) وقد توهم بعض السياح من الإفرنج أن الأنقاض التي اعترضتهم في هذا الموضع هي بقايا جسر قديم كان على نهر دجلة وقد تمادى بعضهم إلى درجة وصف الجسر المزعوم المغمور بالمياه)).

(٢٠)

يروي الشيخ يوسف البديعي في كتابه (الصبح المنبي عن حيثية المتنبي) تفاصيل عن اغتيال المتنبي نقلاً عن شاهد العيان أبي نصر محمد الجبلي نسبة إلى بلدة جَبل التي قضى فيها المتنبي ليلته الأخيرة؛ ضيفاً على أبي نصر الجبلي ... وأبو نصر هذا – كما تصفه المصادر التاريخية – من وجوه الناس في بلدة جبل القريبة من واسط وكان له جاه وفضل وأدب وحرمة.. وهو أحسن من عرف تفاصيل عدوان فاتك الأسدي على أبي الطيب المتنبي..

يذكر البديعي أنه عندما علم الشاعران الخالديان بمقتل المتنبي كتبا إلى أبي نصر يسألانه التفاصيل . والخالديان هما الشاعران الشقيقان أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان (نسبة إلى بلدة خالدة القريبة من الموصل) وهما أديبا البصرة وشاعراها في عصرهما، اتصلا بسيف الدولة وحضرا مجلسه، ويرويان بعض تفاصيل حضورهما مجلس سيف الدولة بوجود المتنبي، وكان أبو عثمان أصغر الأخوين نادرة الدنيا في الحفظ (كما يصفه معاصروه) وقد توفي سنة ٣٧١ هـ (أي بعد وفاة المتنبي بـ ١٧ سنة) أما أخوه الأكبر أبو بكر فقد توفي سنة ٣٨١ هـ.

كتب الخالديان إذن إلى أبي نصر الجبلي يسألانه عما صدر لأبي الطيب المتنبي بعد مفارقته عضد الدولة؛ وكيف قتل؟

أجاب أبو النصر الشاعرين الشقيقين المتلهفين لمعرفة تفاصيل مقتل المتنبي، جواباً مطولاً ... ويروي في جوابه لقاءين الأول مع فاتك الأسدي والثاني مع أبي الطيب المتنبي ..

يقول أبو نصر:

((... أما ما سألتما عنه من خبر مقتل أبي الطيب المتنبي فأنا أسوقه لكما وأشرحه بيناً: اعلما أن مسيره كان من واسط في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وقتل بضيعة تقرب من دير العاقول في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان.. والذي تولى قتله وقتل ابنه وغلامه، رجل من بني أسد يقال له فاتك بن أبي جهل بن فراس بن بَداد.. وسبب ذلك أن فاتكاً هذا خال ضبة، وضبة هو ابن يزيد العيني الذي هجاه أبو الطيب بقوله:

ما أنصف القوم ضبه وأمه الطرطبه

فيقال إن فاتكاً داخلته الحمية لما سمع ذكر أخته أم ضبة بالقبح في هذا الشعر، وما للمتنبي أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلامًا فكان مع سخافته وركاكته سبب قتله وقتل ابنه وغلامه وذهاب ماله...

وأما شرح الخبر – نواصل النقل عن أبي نصر الجبلي – فإن فاتكاً صديق لي، وهو (كما سمي) فاتك، لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال في مواقف القتال، فلما سمع الشعر الذي هجا به المتنبي ضبة اشتد غضب فاتك ورجع على ضبة باللوم وقال له:

– كان يجب ألا تجعل لشاعر عليك سبيلا.

وقد أضمر فاتك غير ما أظهر.. وعندما وصل إلى علمه خروج المتنبي من فارس إلى العراق وعلم أن اجتيازه سيكون من دير العاقول، ترصده، ولم يكن ينزل عن فرسه، ومعه جماعة من

بني عمه رأيهم في المتنبي مثل رأيه من طلبه واستعلام خبره من كل صادر و وارد.

وذات يوم جاءني فاتك يسأل عن المتنبي فسألته عن سبب كثرة سؤاله عن المتنبي وماذا يريد منه إذا لقيه.. فزعم أنه يريد أن يعذله على هجائه أخته أم ضبة .. فقلت له: هذا لا يليق بأخلاقك.. أي إنك لست من الذين يكتفون باللوم.. فتضاحك ثم قال: يا أبا نصر والله لئن اكتحلت عيني به أو جمعتني وإياه بقعة لأسفكن دمه ولا محقن حياته إلا أن يحال بيني وبينه.

قلت له:

- كف، عافاك الله، عن هذا القول وارجع إلى الله؛ وأزل هذا الرأي عن قلبك، فإن الرجل شهير الاسم بعيد الصيت، ولا يحسن منك قتله على شعر قاله، وقد هجت الشعراء الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام فما سمعنا بشاعر قتل بهجائه وقد قال الشاعر:

هجوت زهيرًا ثم إني مدحته ... وما زالت الأشراف تهجى وتمدحُ

تبسم فاتك ولم يظهر عليه ما يدل على أن كلامي غير من رأيه، فقلت له:

- لم يبلغ من جرم الرجل ما يوجب قتله..

فقال فاتك:

- يفعل الله ما يشاء.

وانصرف ولم يمض لهذا القول غير ثلاثة أيام حتى وافاني المتنبي!!)).

عندما عرضنا هذا الجزء من رواية أبي نصر الجبلي على الباحث التاريخي المفكر عبد الغني الملاح أصر على أن قصـــيدة الهجاء تلك لم تكن هي الدافع الوحيد للتربص الشـــرير للمتنبـــي ووصف جماعة فاتك (...أنهم قطاع طرق خرجوا لينهبوا الأموال التي سمعوا بأن المتنبي قد جاء بها من ابن العميد ومـــن عضـــد الدولة..).

(٢١)

بعد جمع كل هذه المعلومات حملنا معـــداتنا التلفزيونيـــة، وقطعنا الطريق الجانبي الضيق على شاطئ دجلة قاصــــدين تلـــة صغيرة المفروض أنها تضم آثار قصر النعمـــان قـــرب مدينـــة النعمانية في محافظة واسط.. وقفت هند كامل بين أطلال القصـــر الشحيحة لتلخص للمشاهدين ما توصلنا إليه حتى الآن..

أعتقد أنه صار بإمكاننا أن نجمع بعض خيوط الحكاية، وأن نربط الوقائع بعضها ببعض، عصابة من قطاع الطرق تلوذ بقصر الأخيضر تتربص بالقوافل لنهبها، يتزعمها فاتك الأسدي الذي كان كما وصفه ابو نصر الجبلي سفاكًا للدماء .. وزيادة في التحريض ضد المتنبي دس إليه خصوم المتنبي قصيدة هجاء قبيحة في شـــتم أخته أم ضبة..

ما أنصـــف القـــوم ضـــبه   وأمــــــــه الطرطبـــــــــه

فصار عند فاتك هدفان: نهب الأموال والانتقام من المتنبي.. فتربص له نواحي مدينة النعمانية، نسبة إلى قصر الملك النعمـــان بن المنذر – حيث أقف الآن بين بعض أطلاله التي ما زالت قائمة منذ أكثر من ألف وخمسمائة سنة.. ولم نجد من القصـــر عنـــدما زرناه على بعد خمسة كيلومترات من قبر المتنبـــي؛ ســـوى تلـــة مرتفعة تغطي سطحها شظايا الفخار القديم الملون .. لم يمنعنا أحد

من التقاط بعض القحوف الملونة منها، بالرغم من أن الناطور كان يرافقنا في جولتنا ... ربما لأن الشظايا لا تعد ولا تحصى!!



نعود إلى الحكاية كما ترويها المصادر والوثائق المتـــوفرة لدينا ...

بعد ثلاثة أيام من لقاء أبي نصر بفاتك الأسدي وصل إلـــى تلك النواحي المتنبي ...

ونقتبس من أبي نصر الجبلي – شاهد العيان – حيث يواصل وصف الأحداث في رسالته إلى الشاعرين الشقيقين الخالديين:

(... وافاني المتنبي ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات؛ لأنه كان إذا سافر لم يخلف في منزله درهمًا ولا شيئًا يساويه وكان أكثر إشفاقه على دفاتره لأنه كان قد انتخبها واحكمها قراءة وتصحيحًا..)).

وقد وجدوا بعد مقتله بين ما كان يحمله المتنبي من كتـــب ديوان أبي تمام وديوان البحتري.. وهكذا وصل المتنبي إلى ديار أبي نصر محمد الجبلي على ضفاف دجلة قريبًا من واسط ..

ويسرد أبو نصر قائلا:

(.. التقيت المتنبي وأنزلته داري.. وسألته عن أخباره وعمن لقي فعرفني من ذلك ما سررت به..وأقبل يصف لي ابن العميد وفضله وأدبه وعلمه وكرمَ عضد الدولة ورغبتَه بالأدب وميله إلى أهله، فلما أمسينا سألته عما سيفعل وقلت له:

- يا أبا الطيب على أي شيء أنت مجمع؟

قال: على أن أتخذ الليل مركبًا . فإن السير فيه يخف علي .

قلت: هذا هو الصواب.

وكنت أرجو من ذلك أن يخفيه الليل عن الشر المبيت له، ولا يصبح إلا وقد قطع بلدًا بعيدًا .

ثم قلت له: الرأي أن يكون معك من رجالَة هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة .. جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد ..

فقطب وجهه وقال: لم قلت هذا القول؟

قلت: لتستأنس به..

فقال المتنبي وهو يرفع سيفه المعلق في رقبته:

- أما وهذا الجراز (قراب السيف القاطع) في عنقي فما بي حاجة إلى مؤنس غيره..

قلت له: الأمر كما تقول ... والرأي في الذي أشرت به عليك.

فقال: تلويحك ينبى عن تعريض، وتعريضك ينبي عن تصريح فعرفني الأمر وبين لي الخطب ..

قلت: إن هذا الجاهل فاتكًا الأسدي كان عندي منذ ثلاثة أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن أخته ضبة وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراز والتيقظ ومعه أيضًا نحو عشرين من بني

عمه، قولهم مثل قوله .

فقال غلام أبي الطيب وكان عاقلا: الصواب ما رآه أبو نصر، خذ معك عشرين رجلا يسيرون بين يديك إلى بغداد.

فاغتاظ أبو الطيب من غلامه غيظًا شديدًا وشتمه شتمًا قبيحًا وقال:

- والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي هذا..

فقلت: يا هذا أنا أوجه قومًا من قبلي في حاجة يسيرون بمسيرك وهم في خفارتك .

قال: يا أبا نصر أبخرء الطير تخشيني؟ ومن عبيد العصا تخاف علي؟ والله لو أن مخصرتي هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد معطشون بخمس وقد نظروا إلى الماء ما جسر لهم خف ولا ظلف أن يرده .. معاذ الله أن اشغل فكري بهم طرفة عين..

فقلت له: قل إن شاء الله.

ثم ركب وكان هذا آخر عهدي به.

هذا الكلام المنقول بنصه عن المتنبي يدل على شجاعة المتنبي وثقته بنفسه، وإقدامه على مواجهة المخاطر، عكس ما يحاول أن يصوره خصومه حيث زعموا أنه هرب من المعركة وعاد بعد أن عيره غلامه بشعر يمدح به نفسه فعاد المتنبي فقتل ..وعن هذا يقول عبد الغني الملاح:

(.. الغرض أن يظهروه جبانًا في معركة دير العاقول، **قالوا** إنه هرب، ركب فرسه وشرد .. ولكن مفلح خادمه صرخ به يا **أبا**

الطيب ألست القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فعندئذ رجع المتنبي. هذا علميًا مرفوض وتاريخيًا مرفوض لان أي شخص عندما يتخذ قرار الفرار على فرس ويوجد من يتكلم وراءه لا يسمعه لأنه مع سرعة الحصان، وعلو الصوت.. ربما يسمع الكلمة الأولى أو الكلمتين.. مثلا: يا أبا الطيب..)).



يفسر الملاح سبب عودة المتنبي إن كان فعلا قد هرب وعاد أنه قد شاهد الأعداء يهجمون على ابنه محسد.:. و يسقط.. فيقول الملاح:

((... عاد المتنبي في رأيي بسبب أنه أراد أن يتحرى عن مصير ابنه محسد وكان عمره ١٨ سنة... إن حكاية هروب المتنبي من المعركة مختلقة برمتها، ونحن نعلم من كلام المتنبي مع شخص التقاه (يقصد أبا نصر) وحذره من فاتك وجماعته، بان المتنبي لم يخفهم وكان مستعدًا لملاقاتهم بسيفه، ثم من هو الذي شهد هذه الواقعة ليشهد عنها فجميع من كانوا مع المتنبي قتلوا، جماعة المتنبي وحراسه وابنه قتلوا، وحتى غلامه مفلح الذي

يزعمون أنه سخر من المتنبي عندما هرب فعاد المتنبي وقتل، مفلح هذا قتل أيضًا ... وأعتقد أنه كان مشغولا بإنقاذ نفسه لا بتعيير سيده!))

مما يؤيد رأي عبد الغني الملاح من أن المتنبي لم يهرب من أرض المعركة ما ينقله لنا القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي، وهو معاصر للمتنبي والتقاه أكثر من مرة (توفي التنوخي سنة ٣٨٤ هـ).

يروي التنوخي في الجزء الرابع(ص ٢٤٨) من كتابه (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) تحت عنوان:(كيف قتل المتنبي) تفاصيل عن الأسباب المحتملة لمقتل المتنبي منها وصف للمعركة منقول عن شاهد عيان من جماعة فاتك وضبة:

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز، قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت الحافظ (الخطيب البغدادي) قال: خرج المتنبي من بغداد إلى فارس، فمدح عضد الدولة وأقام عنده أيامًا مديدة، ثم رجع من شيراز يريد بغداد، فقتل في الطريق بالقرب من النعمانية، في شهر رمضان، وقيل في شعبان، من سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وفي سبب قتله ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان معه مال كثير فقتله العرب لأخذ ماله، فذكر بعض العلماء أنه وصل إليه من عضد الدولة أكثر من مائتي ألف درهم بقصيدته التي قال فيها:

ولو أني استطعت حفظت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا

وفي آخرها:

وأنى شئت يا طرقي فكوني أذاة أو نجاة أو هلاكا

فجعل قافية البيت الهلاك، فهلك.

.. وذلك أنه ارتحل من شيراز بأحسن حال، وكثرة مال، ولم يستصحب خفيرًا، فخرج عليه أعراب، فحاربهم فقتل هو وابنه محسد وبعض غلمانه، وفاز الأعراب بأمواله، وكان قتله بشط دجلة، في موضع يعرف بالصافية، يوم الأربعاء لثلاث بقين من رمضان سنة أربع وخمسين و ثلاثمائة، واسم قاتله: فاتك بن أبي جهل الأسدي .

والقول الثاني: أن سبب قتله كلمة قالها في عضد الدولة فدس عليه من قتله .

وكان المتنبي قد وفد على عضد الدولة وهو بشيراز ثم صحبه إلى الأهواز، فأكرمه ووصله بثلاثة آلاف دينار وثلاث كِسًى في كل كسوة سبع قطع وثلاثة أفراس بسروج محلاة، ثم دس عليه عضد الدولة من سأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة بن حمدان؟

فقال المتنبي: هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف، وكان سيف الدولة يعطي طبعًا.

فاغتاظ عضد الدولة لما نقل إليه هذا، وأذن لقوم من بني ضبة في قتله إذا انصرف المتنبي .

وينقل التنوخي عن مظفر بن علي الكاتب (وله قصيدة في رثاء المتنبي، أوردها صاحب وفيات الأعيان ١٠٦/١ منها):

ما رأى الناس ثـــانيَ المتــنبي أي ثان يُرى لبكـــر الزمـــان
كان من نفسه الكبيرة في جيـــ ـــش وفي الكبرياء ذا سلطان
هو في شعره نـــبي ولكــــن ظهرت معجزاته في المعـــاني

ويستطرد التنوخي نقلا عن مظفر الكاتب الذي يروي قائلا:

((.. اجتمعت برجل من بني ضبة يكنى أبا رشيد فذكر أنه حضر قتل المتنبي.. وكان صبيًا حينئذ ... قال فمضيت مع أبـــي وكنا في ستين راكبًا وراجلا .. نترصد المتنبي .. فكنا في واد .. فمر في الليل ولم نعلم به.. فلما أصبحنا تبعنا أثره فلحقناه.. وقـــد نزل عند شجرة كمثرى، وعندها عين وبين يديه سفرة طعـــام .. فلما رآنا قام، ونادى هلموا وجوه العرب .. فلم يجبه أحد.. فأحس بالداهية.. فركب فرسه ومعه ولده وخمســـة عشـــر غلامًـــا لـــه، وجمعوا الرحال والجمال والبغال فلو ثبت مع رجاله لم نقدر عليه ولكنه ركب فرسه .. وبرز إلينا يطاردنا ... فقتـــل ولـــده وأحـــد غلمانه، وانهزم يسيرًا فقال له غلام له: أين قولك:

الخيـــل والليـــل والبيـــداء تعـــرفني
والحرب والضرب والقرطاس والقلـــم

قال: قتلتني قتلك الله، والله لا انهزمت اليوم.

ثم رجع كارًا علينا، فطعن زعيمنا في عنقه فقتله، واختلفت عليه الرماح فقتل.

فرجعنا إلى الغنائم، وكنت جائعًا، فلم يكن لي هم إلا السُفرة، فأخذت آكل منها..

فجاء أبي فضربني بالسوط وقال: الناس في الغنائم وأنت مع بطنك؟ اكفأ ما في الصحاف وأعطنيها. فكفأت ما فيها ودفعتها إليه، وكانت فضة، ورميت الفراخ والدجاج في حجري .

الملاحظ أن هذه الرواية هي التي تورد القول المزعوم بأن المتنبي عاد إلى المعركة بعد أن عيره غلامه!!

والقول الثالث (في مقتل المتنبي) كما يذكره القاضي التنوخي: أن المتنبي هجا ضبة الأسدي فقال:

ما أنصف القوم ضبه وأمه الطرطبه

فبلغته (بلغت ضبة) فأقام له في الطريق من قتله وقتل ولده وأخذ ما معه، وكان ضبة يقطع الطريق.!!

ويميل أبو منصور الثعالبي في كتابه (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) إلى ترجيح الرأي الذي يقول إن مقتل المتنبي جاء على يد قطاع طرق لا يهمهم من يسلبون وإنما يهمهم ما يسلبون، ولعل الذين فتكوا بالمتنبي قتلوه وهم لا يعرفونه!!

(٢٢)

ترك اللصوص جثة المتنبي وابنـــه ومفلـــح علـــى الأرض مضرجة بالدماء والوحل ونهبوا كل شيء، إلا الأوراق والكتب التي كان المتنبي يحرص على نقلها معه فهذه أمور لا تهـم اللصــوص .... ويروي أبو نصر الجبلي قائلا: إنه لما صح عنده خبر مقتـل أبي الطيب المتنبي وجه من دفنه ...ودفن ابنه ودفن غلامه .



وقفت الممثلة هند كامل أمام ضريح المتنبي الذي شيد فـــي القرن الماضي متسائلة:

((أهذا هو الموقع الذي دفن فيه أبو نصر جثمـــان المتنبـــي وابنه محسد وغلامه .. بعد أكثر من ألف عام على مقتلهم ..

في الستينيات من القرن الماضي جاء من أراد التحقق مـــن قبر المتنبي في هذه المنطقة، خبراء تاريخيون، وآثاريون، بمبادرة من محافظ واسط آنذاك: محسن الرفيعي الذي سألناه بعد أربعـــين سنة من مشروعهم البحثي ذلك:

(.. هل توصلتم إلى أن هذا القبر هو قبر المتنبي فعلا؟)

فكان جواب الرفيعي صريحًا وواضحًا:

(... لا أبدًا.. هنالك أكثر من بحث.. اللجنة أو الأشخاص في بغداد لم يقروا هذا الشيء ولم يتوصلوا إلى نتيجة.. ولكن جميع اللجان والبحوث القديمة والجديدة تؤكد أن اغتيال المتنبي تم في تلك المنطقة.. نواحي الصافية.. النعمانية.. دير العاقول.. وحيث إنه دفن في مكان قريب من موقع مقتله، فمن الممكن ان يكون هناك قبره أيضًا، عمومًا يبقى هذا القبر، والنصب رمزًا للشاعر العظيم المتنبي...!!).

قبر المتنبي أو لا قبر، حسبنا - كما قال قبل خمسين سنة الباحث الكبير مصطفى جواد - أن نقيم صرحًا لائقًا في المنطقة التي اغتيل فيها المتنبي هذا الشاعر العظيم من المجد المخلد والفخر المجدد والذكرى الأبدية..وها نحن بعد أكثر من ألف وخمسين سنة نقتفي أثر المتنبي محاولين الكشف عن بعض أسرار اغتياله ..

وها نحن نقف في الصرح الذي شيده له محبوه وعشاقه قرب النعمانية .. ألا ينطبق علينا قوله:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جَرَّاها ويختصم



المشاركون في تحقيق فيلم اغتيال المتنبي

* **سيناريو وإخراج:** فيصل الياسري.
* **اقتفاء الأثر:** هند كامل.
* **مدير التصوير:** أثير عبد الحميد.
* **المخرج المنفذ:** سلام الأمير.
* **المخرج المساعد:** أثير عبد الوهاب.
* **مساعد مصور:** عبد الأمير الجوهر.
* **مدير الإنتاج:** كنعان علي.
* **المونتاج:** حيدر الياسري.
* **أعمال الكمبيوتر:** صدوق أبو طالب – رفل مهدي.
* **التصوير الفوتوغرافي:** عمار زهير.
* **الموسيقى التصويرية:** علي صابر.
* **منسق المناظر:** جاسم اللامي.
* **المشاركون في التشخيص:** سامي قفطان / خالد علي / يوسف سواس عبد الجبار الشرقاوي / محمد كنعان.
* **إنتاج:** مركز الديار للاستشارات الفنية والإنتاجية ٢٠٠٢.

****

المراجع

يصعب تحديد المصادر والمراجع التي يمكن أن ننسب إليها معلوماتنا عن المتنبي، فهي حصيلة متابعات تراكمية واهتمامات متوارثة بالشاعر الكبير وعصره وشعره وسيرته، وهي إفرازات بيئة مفعمة بالأدب والتاريخ واسترجاع الماضي حتى في جلسات السمر والتناقل الشفوي في منتديات العائلة ومعارفها.

ولكن في خصوص موضوع هذا الكتاب لا بد من تخصيص بعض المصادر التي لها أولوية في حصد المعلومات لموضوعنا المحدد باغتيال المتنبي: الأسباب /الدوافع / الطريقة /الموقع /المنفذ .

وعليه اخص بالذكر المراجع التالية:

- فيلم (اغتيال المتنبي) سيناريو وإخراج فيصل الياسري.
- فيلم (نشوار المحاضرة) من مسلسل (الذخائر) سيناريو وإخراج: فيصل الياسري / إنتاج شبكة راديو وتلفزيون العرب.
- مسلسل (لقاء في الذاكرة) سيناريو وإخراج: فيصل الياسري إنتاج سابكو للفنون – مسقط.
- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي / للشيخ يوسف البديعي.
- المتنبي يسترد أباه / عبد الغني الملاح.
- المتنبي / محمود محمد شاكر – منشورات المقتطف عام ١٩٣٥.
- نظرة إجمالية في حياة المتنبي / معروف الرصافي – طبعة ١٩٥٩.

- رسالة الغفران – المعري.

- دراسات لإبراهيم العريض – مجلة العلوم اللبنانية ١٩٦٣.

- المتنبي – طه حسين.

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري –آدم متز.

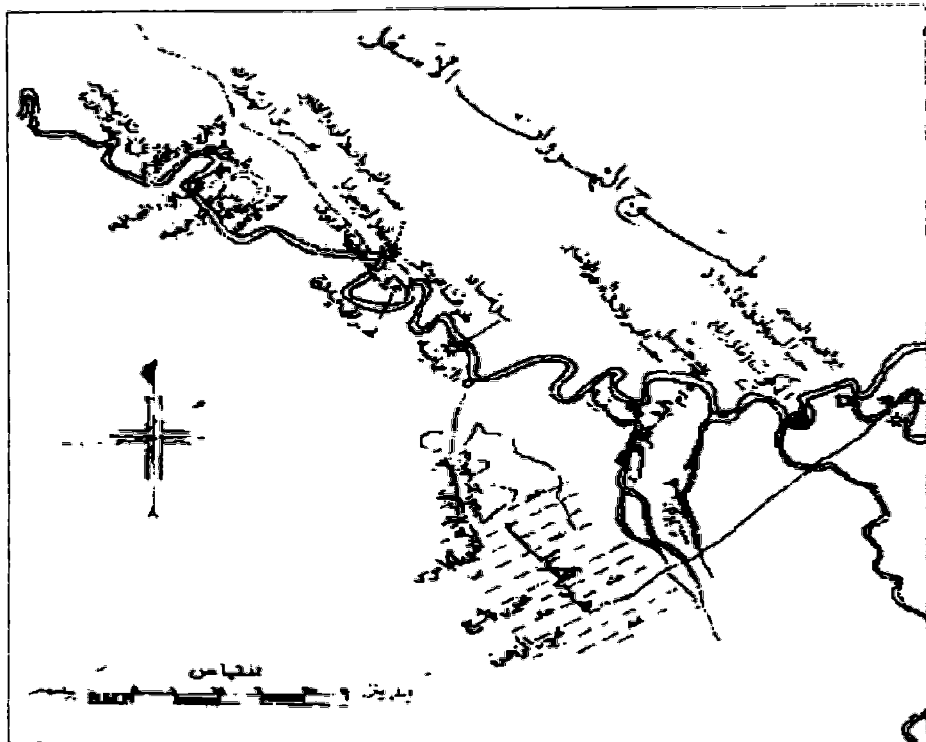
- يتيمة الدهر للثعالبي.

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي.

- المتنبي في المعاجم والموسوعات الأجنبية – محاضرة بمناسبة احتفالية المتنبي ١٩٩٤ – فيصل الياسري (أعيدت كتابتها لا غنائها ٢٠٠٢).

- شبكات الإنترنيت العنكبوتية (website) واخص بالذكر برامج الشبكات الطموحة – والممتعة التالية: الموسوعة الشعرية – البوابة – عجيب.

- ولا بد من التنويه باللقاءات المثمرة مع الأساتذة الباحثين والمختصين التاريخيين.



معلومات إحصائية مفيدة عن المتنبي /
المصدر الرئيس صفحات شبكة عجيب من الإنترنيت

الترتيب التاريخي لقصائد المتنبي	عدد القصائد	عدد الأبيات
العراقيات الأولى	٩	٣٩٤٢
الشاميات	٢٣١	٦٥٧
المصريات	٢٩	٨٩
العراقيات الأخيرة	٣	٤٧٥
الفارسيات	١٣	٨٧

فهرست بحور الشعر في قصائد المتنبي

البحر	عدد القصائد	عدد الأبيات
البسيط	٤٦	٨٢٩
الخفيف	٢١	٤٧٩
الرجز	١١	١٤٩
الرمل	٢	١٢
السريع	٩	٩٦
الطويل	٥٥	١٢٦٨
الكامل	٤٥	٩٢٧
المتقارب	٢٥	٣١٦
المديد	١	٢
المنسرح	٢١	٣٥١
الوافر	٤٧	٧٦٦
مجزوء الرمل	١	٣
مجزوء الكامل	١	٥٢

فهرس القوافي

القافية	عدد القصائد	عدد الأبيات
الهمزة	٨	١١٣
الباء	٣٢	٦١٣
التاء	٥	٥٠
الجيم	١	١٢
الحاء	٧	٥٥
الدال	٣٣	٦٧٢
الذال	١	١٦
الراء	٣٠	٣٦١
الزاي	١	٣٨
السين	٧	٦٦
الشين	١	٣٦
الضاد	٣	٩
العين	٨	٢٠٣
الفاء	٦	٥٩
القاف	١٣	٢٧٩
الكاف	١١	٨٧
اللام	٤٨	١١٩٢
الميم	٤٠	٨٦٠
النون	٢٠	٣٥٥
الهاء	٨	١١٧
الياء	٢	٥٧

لغة المتنبي / أهم المفردات في شعره وتكرارها

الكلمة	تكرارها	الكلمة	تكرارها	الكلمة	كرارها
السيف	١٦٠	الطير	٢٤	الجميل	١١
القلب	١٥٩	الإحسان	٢٣	السخاء	١١
العين	١٤٦	الليالي	٢٣	الفقر	١١
الناس	١٢٣	المنى	٢٣	الفكر	١١
اليد	١٢٣	النوم	٢٣	القسي	١١
الأرض	١٠٧	المعالي	٢٢	الشباب	١٠
الخيل	٩٨	الوعد	٢٢	النهار	١٠
النفس	٩٥	الشوق	٢٢	العار	١٠
الجود	٨٨	العظام	٢٢	الغزال	١٠
المال	٨٣	الأسد	٢٢	العالمون	٩
الملك	٨٣	السماء	٢٢	الوالد	٩
الله	٨١	الحكم	٢٢	المقام	٩
الموت	٨٠	البطل	٢٢	مصر	٩
الماء	٧٥	النجوم	٢٢	كافور	٩
الكف	٧٢	الحلم	٢١	العسكر	٩
الكريم	٦٦	القمر	٢١	الصافي	٩
الدم	٦٦	الهند	٢١	الحرام	٩
الفتى	٦٥	الوحش	٢١	الوادي	٩
الوجه	٦٥	الشر	٢١	الهجاء	٩
البحار	٦٣	المقلة	٢٠	الأذى	٩
الدهر	٦٣	الغيث	٢٠	القوي	٩
القوم	٦١	القرب	٢٠	الكر	٩
الشمس	٦٠	العذر	٢٠	الخال	٩
الهوى	٦٠	الخمر	٢٠	الأسى	٩
البلد	٥٩	البخل	٢٠	البر	٩
المجد	٥٨	الغمام	٢٠	الدجي	٩

الكلمة	تكرارها	الكلمة	تكرارها	الكلمة	كرارها
الزمان	٥٥	الخط	١٩	الردى	٩
الأمير	٥٤	الفخر	١٩	السرور	٩
الفعال	٥٤	الحياء	١٩	سيف الدولة	٩
الجيش	٥٤	البيض	١٩	البشر	٩
الجواد	٥٣	الخوف	١٩	الجمال	٨
القتل	٥٢	العطايا	١٨	الصدود	٨
الجسم	٤٧	المرء	١٨	الفلاة	٨
الحياة	٤٧	القدم	١٨	الدر	٨
الخلق	٤٧	الملل	١٨	الحصى	٨
الفؤاد	٤٥	الإقدام	١٧	الوصال	٨
الأمور	٤٤	الداء	١٧	الركاب	٨
الحسن	٤٤	الطرف	١٧	الجنان	٨
الخير	٤٤	القتال	١٧	البيداء	٨
المكان	٤٤	القناة	١٧	الأبصار	٨
الكلام	٤٣	الهجر	١٧	الأناس	٨
الحرب	٤٢	الوفاء	١٧	الحمام	٨
البدر	٤١	الجزاء	١٧	النواصي	٧
الضرب	٤١	الأنام	١٧	الوال	٧
الرجال	٣٩	البعد	١٦	المثال	٧
المكارم	٣٩	النفع	١٦	قيس	٧
المنية	٣٩	امرؤ	١٦	الشكوى	٧
الرمح	٣٨	الكواكب	١٦	المدى	٧
الفضل	٣٨	الرقاب	١٦	الفرات	٧
الأسنة	٣٧	السهام	١٦	الخطوب	٧
الريح	٣٦	الورد	١٥	الإبل	٧
الحمد	٣٤	الإله	١٥	الأب	٧
العبد	٣٤	الشرف	١٥	الحشو	٧
الحديد	٣٤	العجب	١٤	الهادي	٧
الحب	٣٢	الألوان	١٤	العود	٦

الكلمة	تكرارها	الكلمة	تكرارها	الكلمة	كرارها
الوغى	٣١	اللقاء	١٤	الغمرة	٦
الروح	٣١	الخيال	١٣	الصهيل	٦
العيش	٣١	الناب	١٣	الحضور	٦
القول	٣١	الشخص	١٣	القباب	٦
الدولة	٣٠	الغرب	١٣	العراق	٦
الكرم	٣٠	الحرمان	١٣	الحقائق	٦
السحاب	٢٩	الجو	١٣	الأشياء	٦
الليل	٢٩	البين	١٣	النقع	٦
الوداع	٢٩	الإنسان	١٣	الطود	٥
الحسام	٢٩	الصرف	١٣	الأنساب	٥
الجبال	٢٧	اليمين	١٢	العباب	٥
الشعر	٢٧	محمد	١٢	المطايا	٥
المسك	٢٦	الكبد	١٢	الصبح	٥
الصبر	٢٥	الأخ	١٢	الاقتدار	٥
العز	٢٥	الجار	١٢	البرية	٤
العقل	٢٥	الغواني	١٢	البوادي	٤
الصدر	٢٥	العزيز	١٢	الحداد	٤
الندى	٢٤	الآذان	١٢	النبوة	٤
الورى	٢٤	النوى	١٢	الدواء	٤
الفراق	٢٤	السهول	١٢	الرهان	٤
الخد	٢٤	الأيادي	١١	إسحق	٤

أصدرت مجلة المورد قبل سنوات عـــددًا خاصـّــا عـــن المتنبي من أهم ما احتواه الموضوعات التالية:

الكاتب	عنوان المقالة
إبراهيم السامرائي	من قراءة في شعر أبي الطيب
محمد علي إلياس	الجبال والأمكنة والمياه في شعر المتنبي
صاحب أبو جناح	المتنبي والمشكلة اللغوية
أكرم فاضل	المتنبي في دراسات المستشرقين
محسن جمال الدين	معالم شخصية المتنبي في الأندلس
عزيز عارف	الاتجاه الباطني في شعر المتنبي
عفيف عبدالرحمن	هل كان المتنبي متشائمًا؟
صبيح صادق	أثر الإخفاق في شعر المتنبي
جميل الجبوري	شهيد العاقول
أحمد نصيف الجنابي	أثر شعر العكوك في شعر المتنبي
عبدالغني الملاح	هل التقى المتنبي بابن جني
عبد المنعم محمد جاسم	حول نسب المتنبي

أصدرت مجلة الهلال في القاهرة عددًا خاصًا بمناسبة الذكرى الألفية للمتنبي في يوليو ١٩٣٥ ومن أهم الموضوعات فيه:

عنوان المقالة	الكاتب
سر الاحتفال بالمتنبي	محمد حسين هيكل
عبرة الشباب – لمحة عن المنازع القومية في المتنبي	سامي الكيالي
الغموض في شعر المتنبي	مجلة الهلال
الوصف في شعر المتنبي	أنيس المقدسي
أبو الطيب في مصر	محمد شوكت
عصر المتنبي عصر اضطراب وفتن	مجلة الهلال
من نوادر أبي الطيب المتنبي	عيسى إسكندر
هل كان المتنبي متدينا	علي أدهم
فلسفة أبي الطيب	أحمد أمين
شخصية المتنبي في شعره	عباس محمود العقاد
أبو الطيب المتنبي كان عبقريا، ولكن..	خليل مطران
الشاعر أبو الطيب	علي الجارم
حياة المتنبي – حياة متعبة ممزوجة بالدماء	شفيق جبري
المتنبي بين محاسنه ومباذله	الأمير شكيب أرسلان
أبو الطيب المتنبي تاجر من تجار الأدب	سليم عبدالأحد
الحياة الفنية في عصر المتنبي	حسين محمد الهواري
جنون العظمة في المتنبي	عبدالرحمن صدقي
مرض نفسي	عبدالرحمن صدقي
فضيلة خلقية	طاهر أحمد الطناجي
شهرة المتنبي	محمد محمد توفيق
نفسية المتنبي	محمد مظهر سعيد

أهم المصادر عن المتنبي

١	شرح ديوان المتنبي	أبو العلاء المعري	طبعة دار المعارف سنة ١٩٩٢
٢	التبيان شرح الديوان	أبو البقاء العكبري	مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٧١
٣	العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب	الشيخ ناصيف اليازجي	طبعة دار نظير عبود سنة ١٩٩٥
٤	ديوان المتنبي	عبد الرحمن البرقوقي	دار الكتاب العربي بيروت طبعة ١٩٨٦
٥	ديوان أبي الطيب المتنبي	أبو الفتح عثمان بن جني	بغداد ١٩٨٨

* كتب تراثية

١	ابن سيده	شرح مشكل أبيات المتنبي	سنة ٤٥٨ هـ
٢	أبو القاسم الأصفهاني	الواضح في مشكلات شعر المتنبي	
٣	الثعالبي	يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر	سنة ٤٢٩ هـ
٤	القاضي الجرجاني	الوساطة بين المتنبي وخصومه	سنة ٣٦٦ هـ
٥	الحاتمي	الرسالة الموضحة	سنة ٣٨٨ هـ
٦	الصاحب بن عباد	الكشف عن مساوئ المتنبي	سنة ٣٨٥ هـ
٧	العميدي	الإبانة عن سرقات المتنبي	سنة ٣٥٤ هـ
٨	البديعي	الصبح المنبي عن حيثية المتنبي	سنة ١٠٧٣ هـ

* كتب حديثة

١	بلاشير	أبو الطيب المتنبي
٢	محمد التونجي	المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس
٣	طه حسين	مع المتنبي
٤	معروف الرصافي	نظرة إجمالية في حياة المتنبي
٥	محمد شعيب	المتنبي بين ناقديه
٦	إبراهيم العريض	فن المتنبي بعد ألف عام
٧	عبد الغني الملاح	المتنبي يسترد أباه
٨	محمد محمود شاكر	المتنبي
٩	عبد الوهاب عزام	ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام
١٠	عبد الله الحيدري	أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين
١١	سهيل عثمان ومنير كنعان	المحصول الفكري للمتنبي
١٢	محمد كمال حلمي	أبو الطيب المتنبي
١٣	زكي المحاسني	المتنبي
١٤	نورية الشملان	المتنبي الإنسان و الشاعر
١٥	عبد العزيز عبد المحسن التويجري	المتنبي

المصدر الرئيس لهذه الإحصائيات الموقع الممتع (عجيــب) على الإنترنيت.

المتنبي في المراجع القاموسية الأجنبية

فيصل الياسري

تلقيت عام ١٩٩٤ دعوة لحضور احتفال خاص أقيم حول ضريح المتنبي الذي شيد له في الستينيات من القرن الماضي في الموقع الذي يعتقد أن فاتكًا الأسدي قد اغتاله فيه عام ٣٥٤ للهجرة بالقرب من النعمانية .. وقد القى الحاضرون قصائد وكلمات عن مالئ الدنيا وشاغل الناس، الذي قال عن نفسه أن كل شيء في الدنيا يعرفه ويبجله:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والطعن والقرطاس والقلم

وقد استهواني أن استعرض في كلمتي ما كتب عن المتنبي في المراجع المعرفية السريعة غير العربية.

نحن بصدد التنقيب عن المتنبي في الموسوعات القاموسية وفي كتب المراجعة السريعة وهو ما يطلق عليه اسم إنسيكلوبيديا - أو ليكسيكا أو ليكسيكون - وهي كلمة مأخوذة عن اليونانية؛ وتعني مجمل المعارف أو عرض شامل للمعارف النظرية والعملية - مرتب بنظام لكسيكوني - أي بالتسلسل الأبجدي كالقاموس!

لن أتصفح البرامج العربية المنشأ المنتشرة في ثنايا الإنترنيت فإنك تجد فيها الكثير عن المتنبي وكأنك تقرأ الكتب

القديمة والحديثة عنه، فأنا أريد أن أعرف ماذا يذكر غير العرب في كتبهم ومراجعهم المطبوعة عن أحد شعراء العرب الكبار ..

وسأبدأ بأحدث الوسائل العصرية للمعرفة: أسطوانة صغيرة الحجم مكثفة للكمبيوتر تحتوي على طبعة جديدة من برنامج يدعى (مايكروسوفت مولتيميديا إنسيكلوبيديا) لا تتجاوز مساحتها راحة الكف تحمل بين ثناياها ما يوازي خمسين مجلدًا وآلاف الصور والأفلام المتحركة والأصوات والخرائط والرسوم التوضيحية الملونة شغلت أكثر من أربعمائة مليون وحدة قياسية كمبيوترية (بايت) – فوجدتها تذكر المتنبي في أكثر من موضع عند الحديث عن تاريخ الأدب العربي – وفي مكان محدد تتحدث عن المتنبي بذاته – فماذا تقول عنه ؟

تقول إنسيكلوبيديا الكمبيوتر تحت كلمة (موتانابي)

((ولد المتنبي في الكوفة في العراق عام ٩١٥ ميلادي وتوفي عام ٩٦٥ – ويعتبر أعظم شاعر عربي كلاسيكي – درس في دمشق وعاش فترة بين عرب البادية – حيث كسب لقب المتنبي وتعني الرجل الذي يمكن أن يتنبأ كالنبي – توجه المتنبي إلى حلب حيث انضم إلى تلك الجماعة المتألقة التي كانت تحيط بسلطان الحمدانيين سيف الدولة – فخصص المتنبي شعره لمدحه طوال تسع سنوات فمنحه الشهرة وأغدق سيف الدولة عليه الثروة – عاد إلى العراق بعد أن تعافي من حمى أصابته – وقد اغتاله مسلح وهو في الطريق!))

ولو رجعنا إلى موسوعة تقليدية (أقصد مطبوعة على شكل كتاب فعلا لا إلكترونيًا) وهي موسوعة الأدب العالمي الصادرة بالألمانية عام ١٩٦٥ فتكتب في الصفحة ٥٣٨ عن المتنبي ما يأتي:

((هو أبو الطيب أحمد بن الحسين - ولد في الكوفة عام ٩١٥ وتوفي في ٢٣ أيلول عام ٩٦٥ (اغتيل بالقرب من بغداد) - أهم شعراء العربية في الفترة الكلاسيكية المتأخرة - عاش فترة بين البدو في بادية السماوة وهناك روج لبعض الأفكار الدينية الإصلاحية فأطلق عليه أبناء البادية لقب المتنبي (وتعني الذي يدعي النبوة) بلغ أوج نضجه الأدبي بين عام ٩٤٨ و٩٥٦ ميلادية في رحاب بلاط أمير الحمدانيين: سيف الدولة! وبعد تعكر الجو بينهما رحل المتنبي إلى خصم سيف الدولة في مصر (كافور) ثم اضطر إلى الهرب من مصر بعد أن سخر في شعره من حاكمها! فتوجه إلي بغداد!)).

ثم تمضي الموسوعة في الحديث عن شعر المتنبي فتقول:

((يعكس شعر المتنبي حياته المتقلبة .. إلا أن المدح والهجاء عنده يعكسان قدرته وبراعته في قول الشعر الرائع وتظهران مقدرته الفنية المدهشة! ويمتاز المتنبي بلغة مؤثرة زاخرة بالصور المبتكرة وبجرأة كبيرة على استنباط تعابير لغوية جديدة في صياغات شعرية محكمة كان لها تأثيرها على كل من جاء بعده من الشعراء العرب وخاصة في المديح! وقد بلغ صيت المتنبي ذروته في القرن الحادي عشر حتى أصبح اسم المتنبي يستعمل بمعنى الشاعر العظيم!)).

وتواصل موسوعة الأدب العالمي الألمانية الحديث عن المتنبي وما صدر له باللغة الألمانية فتقول (... إن أول طبعة لأشعاره صدرت باللغتين الألمانية والعربية معًا في لايبزيغ عام ١٧٦٥ ثم صدرت ترجمة وشروح لبعض أشعاره في برلين عام ١٨٥٠).

تحدثت هذه الموسوعة لكونها متخصصة بالأدب عن المتنبي

أكثر مما فعلت موسوعة الكمبيوتر الأمريكية - ويعود السبب أيضًا إلى اهتمام المستشرقين الألمان الكبير بالأدب العربي عامة!

وفي المرجع الأمريكي الصادر عام ١٩٤٠ تحت عنوان: (ILUSTRATED MINUTE BIOGRAPHIES) التي تقدم سير المشاهير باقتضاب لا يتطلب من القارئ غير دقيقة واحدة! لا نجد في الطبعة الأمريكية من ذلك المرجع ذكرًا للمتنبي ولا لغيره من الأعلام العرب - إلا أننا نجد في الطبعة العربية منها التي أصدرتها مؤسسة فرانكلين صفحة كاملة عن المتنبي - وصفحات عن غيره من رجالنا - ونكتشف أنها إضافات من المترجم! لذلك سنتجاوزها هنا!

عثرت قبل فترة في شارع المتنبي في بغداد حيث تباع الكتب المستعملة على نسخة من موسوعة أدبية صدرت عام ١٩٠٢ في إنجلترا للمستشرق المعروف إدوارد غرانفيل براون بعنوان (تاريخ الأدب الفارسي) في أربع مجلدات استغرقت كتابتها عشرين سنة فكان صدور المجلد الرابع منها عام ١٩٢٢ أي قبل وفاة براون بأربع سنوات.

وبالرغم من أن موسوعة براون الأدبية هذه مخصصة كما قلنا للأدب الفارسي إلا أن اسم المتنبي يتكرر فيها مرارًا فقد كان - كما يقول براون - قدوة لجميع الشعراء .. ويقول في المجلد الأول (أثر شعر المتنبي تأثيرًا كبيرًا على أسلوب وصياغة الشعر الفارسي وغير في طرق التناول والتعبير اللفظي).

ويقول في موضع آخر: (كان لشعر المتنبي التأثير البالغ في تحوير الشعر الفارسي أسلوبًا وموضوعًا وديباجة، إذ اقتدى به وفي منهجه شعراء فارس قاطبة).

لنستمر في تقليب صفحات المعاجم المعلوماتية المقتضبة التي تمكنت من الاطلاع عليها في الأيام الماضية بحثًا عن اسم المتنبي؛ وقد أدهشني ألا أجد له ذكرًا في الموسوعة الألمانية المعروفة باسم ليكسيكون مايرز وهو مرجع كبير ومهم باللغة الألمانية - بينما وجدت عنه كلامًا مقتضبًا في الطبعة المصغرة من تلك الموسوعة للمحادثات Konversation وهي موسوعة تنجد المتحدث بمعلومات سريعة عن المواضيع والأسماء التي قد تذكر أمامه في جلسات السمر حيث جاء في المجلد الرابع عشر منها عن المتنبي أنه شاعر عربي مهم عاش في القرن الميلادي العاشر وقتل بالقرب من بغداد!

أما الإنسكلوبيديا السوفيتية الكبرى التي تقع في خمسين مجلدًا والصادرة عام ١٩٥٤ فقد ورد عن المتنبي في المجلد ٢٨ منها الصفحة ٥٩٣ الأسطر الآتية:

المتنبي - أبو الطيب أحمد بن الحسين (٩١٥-٩٦٥) شاعر عربي كبير - ولد في الكوفة وعاش هناك لفترة ثم انتقل منها إلي حلب حيث اتصل بسيف الدولة الحمداني وقال فيه أجمل أشعاره - كانت شاعرية المتنبي تذهل الناس بلغته المتميزة و بديع تعابيره - انتهت حياته الزاهية بمأساة غامضة! له شعر جزل ودواوين - والعرب فخورون به!)).

ولكي نستكمل جولتنا هذه لا بد لنا من أن نقلب صفحات كبرى الموسوعات في العالم وأشهرها: الإنسكلوبيديا برتانيكا - وقد احتوت طبعة ١٩٨٤ منها معلومات غزيرة عن المتنبي على عكس الصياغات المقتضبة التي تعتمدها الموسوعات عادة والتي هي أقرب إلى أسلوب البرقيات ..

وقد جاء ذكر المتنبي في الموسوعة البريطانية بصورة رئيسة في ثلاثة مواقع - فتحدثت في المجلد الثالث عن منزلة المتنبي في الأدب العربي وفي المجلد السابع عن حياة المتنبي وفي المجلد التاسع عن تميز شعر المتنبي.

وسأوجز هنا ما جاء في الإنسكلوبيديا برتانيكا عن المتنبي- وسأبدأ بالمجلد السابع الصفحة ١٣٨ حيث نتعرف على حياة المتنبي وتسلسلها التاريخي المعروف إلا أن هذه الموسوعة تقول إن اغتياله كان في شهر آب من عام ٩٦٥ وليس في شهر أيلول كما جاء في مصادر أخرى - وتحدد موقع الاغتيال بدير العاقول (حوالي مائة كم جنوب بغداد جوار مدينة النعمانية حيث أقيم فيه قبل سنوات ضريح ضخم للمتنبي).

وتصف دائرة المعارف البريطانية المتنبي بأنه أعظم شعراء العرب باتفاق معظم النقاد- وتقول الموسوعة إنه ولد في عائلة فقيرة ولكنها أصيلة النسب! وتقول إنه كان في شبابه مغامرًا مقدامًا ساهم في عدد من حركات التمرد كان أهمها مشاركته عام ٩٣٨ في ثورة قبائل البدو في الصحراء السورية - وفي هذه الفترة أطلق عليه لقب المتنبي - إلا أن تلك الثورة فشلت و أودع المتنبي السجن لمدة سنتين - بعدها توجه تمامًا إلى الشعر واهتم بالمديح والفخر على نهج أبي تمام (ت٨٤٥) والبحتري (ت٨٩٧).

وكانت أبرز قصائده - كما تقول الموسوعة البريطانية - في مدح سيف الدولة الحمداني الذي وجد فيه المتنبي راعيًا كريمًا فنظم فيه درر المديح في الشعر العربي - إلا أن السنة الأخيرة في بلاط سيف الدولة كانت مليئة بالدسائس والغيرة ضد المتنبي فهاجر إلى مصر حيث كافور الإخشيدي الذي ذمه في قصيدة فاضطر إلى

الهجرة من القاهرة والعودة إلى العراق حوالي عام ٩٦٠ م وفي إحدى رحلاته قتل وهو في الطريق!

وتقول الموسوعة في موضع آخر (المجلد الثالث صفحة ٦٤٤): بعد الفترة التي ظهر فيها الشعراء الكبار في عصر الرشيد وما بعده من أمثال أبي العتاهية وأبي نواس وابن الرومي وأبي تمام - جاء في القرن العاشر ربما أعظم شعراء العربية لعدة أجيال... المتنبي بمدحه الصاخب وشعره البطولي المتماسك فصار أشهر شعراء العرب - وكتب لشعره الخلود لأنه كان أبعد من مجرد مديح لراع أو حاكم، وكان شعره يثير إعجاب الرجال العظماء كما يثير إعجاب الناس البسطاء - وقد انتشرت أشعاره التي كانت تعبر عن نظرته للحياة وأمور الدنيا و فخره واعتزازه بنفسه وكبريائه - المشحون بالبلاغة والإجادة اللفظية والفكرية.. بالبراعة .. فتربع لقرون عديدة على عرش القصيدة العربية إلى جانب أبي تمام والبحتري! - فانتشرت في جميع العالم الإسلامي وصار الناس يستشهدون بأبياته كأقوال مأثورة حكيمة.

وفي المجلد التاسع صفحة ٩٦٠ تتحدث الموسوعة عن خصائص شعر المتنبي وتميزه وبراعته الفائقة في انتقاء المفردات والمعاني وخاصة في الفخر والمديح! وتعتبر التسع سنوات التي قضاها بالقرب من سيف الدولة في حلب هي فترة العطاء والإبداع الأغنى في حياته!

قادتني جولة التنقيب هذه عن المتنبي في بطون القواميس ودوائر المعارف إلى المرور على ما كتبه بعض المستشرقين عن الشعر العربي فتوقفت عند محطات مثيرة وشائقة .... توقفت أمام يوسف فون هامر بورغشتال الذي نشر عام ١٨٤٤ مختارات من شعر

المتنبي بالألمانية وأصدر مجلة (كنوز الشرق) بالألمانية سنة ١٨٠١ وجعل شعارها الآية القرآنية (قل لله المشرق والمغرب) ونشر في أول أعدادها مرثية للمتنبي وجعل مجلته منبرًا للتراث العربي!

وقد اعترف بفضل بورغشتال الشاعر الكبير غيته باطلاعه على كنوز الشرق الأدبية – التي ظهر أثرها واضحًا في كتابه (الديوان الشرقي الغربي) وكان غيته يستعين بالمستشرق يوهن غوتفريد كوزاغارتن – فيترجم له القصائد العربية ويعيد غيته صياغتها شعرًا – ومن ذلك قصيدة "تأبط شرّا" التي مطلعها (إن بالشعب الذي دون سلع ...) وكوزاغارتن هذا حقق ونشر وترجم الكثير من الشعر العربي!

ويضاهيه في ذلك المستشرق الإنجليزي شارلس ليال الذي اهتم في مطلع هذا القرن بتحقيق وترجمة دواوين الشعر العربية النادرة والصعبة ومن ذلك قصائد عمرو بن قميئة – وكتاب المفضليات للمفضل الضبي! أما المستشرق الألماني فردريك ديتريشي ذو الإنتاج الغزير فقد نشر في برلين عام ١٨٥٨ ديوان المتنبي مع شرح الواحدي!

وقد تحدث المستشرق النمساوي غوستاف فون غرينباوم باعجاب كبير عن المتنبي في كتبه العديدة التي وضعها عن الشعر العربي نذكر منها العناوين التالية:

- الأدب العربي في القرن العاشر الميلادي (وهو القرن الذي عاش فيه المتنبي).
- نمو الشعر العربي وتركيبه من سنة ٥٠٠ إلى سنة ١٠٠٠م.
- الأساس الجمالي للأدب العربي.
- الاستجابة للطبيعة في الشعر العربي.

- بوادر الشعر الديني الإسلامي.
- الشعر العربي: النظرية والتطور.

وقد جمع كل هذه الأمور المستشرق الذائع الصيت كارل بروكلمان- صاحب الدراسات المهمة في علم اللغات السامية – في كتابه الموسوعي الكبير (تاريخ الأدب العربي) الذي صدر أول مرة عام ١٨٩٧ في برلين في ثلاثة مجلدات ثم توسع في طبعاته الأخرى فبلغ خمسة مجلدات – ويتضح من الكتاب أن بروكلمان كان يفهم تحت أدب: مجموع ما كتب باللغة العربية في فروع العلم والمعرفة والفكر!

ولا بد هنا من الإشارة إلى المستشرق الإنجليزي إدوارد هنري بالمر الذي كان مولعًا بالشعر العربي وراح يسعى إلى ترجمة تحمل إلى عقل القارئ الإنجليزي نفس الانطباع الذي يحمله النص العربي إلى عقل العربي!!

حسب تعبير بالمر نفسه في مقدمة ترجمته لديوان البهاء زهير تلك الترجمة الرشيقة التي تتناسب مع رشاقة شعر البهاء زهير نفسه! وهو يقول عن ترجمته: (في هذه الترجمة نقلت الأصل العربي على أقرب نحو يسمح به الاختلاف بين اللغتين، ولم اسمح لنفسي بالتصرف أو التلخيص من أجل الوزن الإنجليزي... أنا مقتنع بأن لغة البهاء زهير، وهي سهلة ورشيقة، يمكن أن تؤدي أفضل أداء باللجوء إلى لغة إنجليزية من نفس الطابع! ... أن الشعراء العرب مولعون جدّا" بالتورية والجناس ... أي بالتفنن اللغوي، وبيت الشعر الذي توجد فيه مثل هذه المحسنات اللغوية قد يكون واضح المعنى جدّا" في الأصل العربي لكنه حين يترجم إلي لغة أخري قد يصير غير مفهوم إطلاقًا" ...

وقد سعيت في الترجمة إلى إيجاد ألفـــاظ إنجليزيـــة ذات معنـــى مزدوج ابتغاء إيجاد نفس التورية!).

وكان بالمر هذا يسير – من حيث الولع بالشعر العربـــي – على خطى المستشرق البريطاني وليام جونز الـــذي عـــاش قبلـــه بحوالي تسعين سنة والذي دفعه تعلقه بالشعر العربي إلى أن يتعلم اللغة العربية بنفسه بالرغم من انشغاله بالقضاء .. وقام بترجمـــة المعلقات السبع عام ١٧٨٢ وألف في علم العروض والقوافي فـــي الشعر العربي وفي معاني الشعر العربي وكان يـــرى أن الأوزان العربية في الشعر مماثلة تمامًـــا لـــلأوزان الشـــعرية اليونانيـــة واللاتينية– وقام بترجمة قصائد عربية بشعر لاتيني مماثـــل فـــي الوزن كما فعل مع قصيدة طويلة لابن الفارض!

وقد عمد إلى محاكاة البحور العربية بأبيات لاتينية ومثـــال على ذلك بحر الطويل يحاكيه باللاتينية هكذا:

Ocellis/Nigris, Labris /Odoris , Nigris / omis

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن — **فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن**

وعينان قال الله كونا فكانتـــا — **فعولان بالألباب ما تفعل الخمر!**

لن يكتمل موضوعنا هذا ما لم ننظـــر فـــي أهـــم مرجـــع للمعلومات والمعرفة في عصرنا هذا ونقصد شبكة الإنترنيت وقد فتحت عليها واجهتين فقط، فوجدت على الأولى ٢٠ موقعًا تتحدث عن المتنبي أما على الواجهة الثانية فكان هنالك ١٤٣ موقعًا تذكر المتنبي مع تفاصيل عن حياته وشعره ومنزلته الأدبية /

وقد عثرت على شبكة الإنترنيت على الموقع جميـــل خـــاص

بالمتنبي منفردًا فيه معلومات تفصيلة قيمة مبوبة بشكل يسهل الرجوع إليها والبحث بين صفحاتها؛ فبالإضافة إلى حياته وشعره والبحوث والدراسات عنه وشرح اليازجي لقصائده هنالك فهارس وإحصاءات مبتكرة جميلة ومفيدة منها إحصاءات عن المفردات اللغوية في شعر المتنبي مثلا أنه ذكر السيف في شعره ١٦٠ مرة والقلب ١٥٩ مرة وذكر الموت ٨٠ مرة بينما ذكر كلمة الحياة ٤٧ مرة والهوى ٦٠ مرة ولم ترد كلمة الحب في شعره سوى ٣٢ مرة!!

أما بالنسبة لبحور الشعر فإن أكثر ما نظم المتنبي على بحر الطويل حيث نظم ٥٥ قصيدة تقع في ١٢٦٨ بيتا يليه بحر البسيط ثم الوافر واقل ما نظم في الرمل والمديد مجرد بيتين أو ثلاثة في كل منهما!

أما من حيث القوافي فأكثر ما جاء منها على حرف اللام (٤٨ قصيدة في ١١٩٢ بيتا) ثم حرف الميم (٤٠ قصيدة في ٩٦٠ بيتا) منها بيت الشعر المكتوب على مدخل قبره في دير العاقول:

أنا الذي نظر الأعمى إلي أدبي   وأسمعت كلماتي من به صمم

فهرس

المترجم

- **فيصل الياسري**

ترجم العديد من الكتب،

- **صدر منها:**

- **كتاب الأسئلة، التنزه في عقول الناس**، د. غريغوري ستوك، مركز الحضارة العربية،القاهرة، ٢٠٠٣ .
- **جماليات التصوير والإضاءة في السينما والتليفزيون**، دراسة، بيترسبرزسني، ط٢، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣.
- **دون كيشوت طليقًا، مسرحية**، أناتولى ف. لون تشارسكى، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤ .
- **إني على حبك باقية، قصائد في الحب والعشق**، مجموعة كبيرة من الشاعرات، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥.
- **اغتيال المتنبي، (إعداد وتأليف)**، مركز الحضارة العربية، **القاهرة**، ٢٠٠٥.



...عندما بدأت اقتفاء أثر المتنبي لم يكن ما يشغل بالي التنقيب عن مراحل حياة المتنبي عامة ولا الخوض في محطات حياته المتنوعة ، و إنما واقعة الاغتيال فقط ، كواحدة من مظاهر العنف الدموي في تاريخ العراق : كيف تمت ؟ أين وقعت ؟ الدوافع والأسباب ؟ من اقترف الجريمة؟

بعد تنقيب حثيث استغرق عدة اشهر في بطون الكتب ، لتجميع المعلومات المتناثرة حول اغتيال المتنبي قبل حوالي الف وخمسين سنة ، وبعد لقاءات مع عدد من الباحثين التاريخيين والاثاريين من ذوي الاختصاص ، وبعد تجميع لبضعة وثائق فريدة ونادرة ممن ساهموا في القرن الماضي بالتنقيب عن قبر المتنبي في محافظة واسط ، جاء وقت القيام برحلة الاكتشاف - بالكاميرا التلفزيونية - على ارض الواقع ، واقتفاء اثر المتنبي في الطريق التي سلكها عائداً من شيراز الى بغداد في رمضان من عام ٣٥٤ للهجرة تلك الرحلة المشؤومة التي انتهت باغتياله !!

تتفق جميع المصادر والروايات المدونة والمتناقلة مشافهة ، على أن الشاعر الكبير الذي ملأ الدنيا وشغل الناس/ أبو الطيب المتنبي اغتيل يوم الأربعاء الثامن والعشرين من رمضان عام ٣٥٤ للهجرة الموافق للسابع والعشرين من أيلول/ سبتمبر عام ٩٦٥ .. في هذه النواحي من واسط، قريباً من ضفاف دجلة..

ما الذي جاء به إلى هذه الديرة ؟ أين قضى المتنبي ليلته الأخيرة؟ من اغتاله ؟ لماذا ؟ كيف؟ ألم يجد من يدافع عنه؟ أهذا هو قبر المتنبي حقاً؟ ادفن هنا يوم اغتياله ؟

هل كان المتنبي يعرف من هو أبوه؟ لماذا لم يتحدث المتنبي أبدا عن نسبه؟ هل يمكن أن يكون المتنبي ابن الإمام المهدي آخر الأئمة الاثني عشر كما يزعم مؤلف كتاب (المتنبي يسترد أباه)؟؟

فيصل الياسري











